وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن13ه/19م "مصر أنموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الحديث والمعاصر

إعداد:
- الزهرة بوقردة
- كريمة لعشبور

إشراف الأستاذ:
كمال بوزريعي

السنة الجامعية: 1438/1437هـ--2017/2016 م


بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم إني أسألك النجاح فهو خير ما نتمناه ونسألك

الصحة والعافية فهما خير ما نسعى إليه

وجعلني صغيرا في عيني كبيرا في عيناك

اللهم ابعد عنا الهم والحزن والملل ونقص الأمل

ونسألك الصبر والعزيمة والإرادة فهو خير سلاح نتغلب به

على مشاق الحياة

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا فسهل لنا يا رب أمرنا

واشرح صدورنا ونور دربنا بالخير وعقلنا بالإيمان

اللهم اجعل النجاح حليفنا والفشل عدونا واجعل الطموح رفيقنا

والتميز بصمتنا والإرادة عزيمتنا ومسلكنا

أمين



شكر و تقدير

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس وألبسنا لباس التقوى خير لباس، نحمده تعالى أن وفقنا لإتمام هذا العمل و ما كنا لنهتدي إليه لولا أن هدانا الله عز وجل....

وصلى الله وسلّم على المبعوث رحمة للعالمين ورسولنا الكريم الذي حثّ على العلم ورغب فيه.

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان ... مع كل معاني الاحترام والامتنان... للأستاذ "**بوزريعي كمال**"

على إشرافه العلمي على هذا البحث، وعلى ما أحاطنا به من كريم أخلاقه وسعة علمه وسديد توجيهاته في جميع مراحل هذا البحث، فلك منا أستاذي الفاضل أسمى كلمات الشكر والعرفان، ومن الله عظيم الأجر والثواب على ما قدمت فأفدت بإذنه تعالى.

ثم أقف احترامًا وتقديرًا للأساتذة الكرام الذين أشرفوا على تدريسنا في كل مراحل تعليمي، ولأساتذة قسم التاريخ بجامعة المدية وخاصة البروفيسور الغالي غربي والدكتور بوطيبي محمد وقريتلي حميد ، والأستاذة حمصي لطيفة والأستاذ نواصر عبد الرحمن والدكتور بن الشيخ حكيم ،والأستاذ مديني بشير،والدكتورة طرشون نادية على توجيهاتهم ونصائحهم، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في خروج هذا البحث إلى النور.

" جزاكم الله عني خير وأعظم جزاء وأدامكم في خدمة العلم والعلماء والوطن

"الزهرة و كريمة"

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على اشرف خلق الله محمد ﷺ

بداية أهدي هذا العمل إلى اللذان كانا سببا في وجودي فسهرا على تربيتي، وكان لهما الفضل في تعليمي، وجعلاني أصل إلى ما أنا عليه، ولم يبخلا عليا بالنصح والإرشاد وغمراني بعطفهما وحنانهما وبثا فيا العزم والصبر، إلى الوالدين الكريمين.

إلى الوجه الطافح حبًا وحنانًا....إلى التي روحي ملك يديها ولا تحن نفسي إلى إليها...إلى أعظم حب وأكبر قلب...إلى التي منحتني الحب والرعاية، إلى من حملتني وهنًا على وهن، وسهرت اللّيالي لأجلي: أمي الحنون...أدامها الله تاجًا فوق رؤوسنا ...

إلى الشمعة التي تحترق لتنير لي درب الحياة، إلى الذي لم يبخل علي بالعطاء والمحبة أبي العزيز...حبًا، احترامًا وتقديرًا...

إلى جواهر المحبة إخوتي كل باسمه، محمد، خالد، يوسف، الطيب

إلى حبيبات قلبي أخواتي الحبيبات فاطمة، مباركة، مسعودة، حسينة، ،مروة، صارة، من دون أن أنسى زوجات اخوتي اماني ،فرح، صارة، وابناء اخوتي :ابراهيم الخليل ،ريماس ، علي يزن ،مريم البتول ابرار ،حبيبة نور اسلام

الى زميلاتي ،خيرة ،سورية...

إلى من شاركتني عناء هذا البحث إلى زميلتي"كريمة لعشبور"

إلى جدتي ألبسها الله لباس العافية

إلى كل من توقع أن يجد اسمه في مذكرتي ولم يجده، إلى كل من يحمل لقب"بوقردة"

الزهرة

إهداء

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أبي الطاهرة وأسال الله أن لا يحرمنا من لقائه في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

إلى من حملتني وهنا على وهن وقادتني إلى حيث أنا أمي الحنونة التي لم تبخل علي يوما بدعائها أطال الله في عمرها .

إلى من تجمعني معهم أنبل المشاعر إلى من شعرت معهم بدفء الوجود إخوتي:محمد وأمال وسعدية وزوجها والكتكوتة "أنفال" حفظها الله.

إلى جدتي البسها الله لباس العافية .

إلى صديقاتي إيمان وسوهيلة ونرجس ونوال .

إلى من شاركتني عناء هذا البحث،إلى زميلتي "بوقردة الزهرة"

إلى كل هؤلاء أهدي عملي المتواضع هذا راجية من الله أن يحقق مساعينا وأمالنا بإذنه تعالى.

كريمة

قائمة المختصرات

دون تاريخ	د ت
مجلد	مج
تحقيق	تح
تقديم	تق
الطبعة	ط
دون المكان	د م
الصفحة	ص
العدد	ع
الجزء	ج
الترجمة	تر
صفحة	ص

مقدمة

المقدمة:

يمثل القرن التاسع عشر الميلادي نقطة تحول في تاريخ الدولة العثمانية ،فمنذ القرن السادس عشر لم يشهد العالم العربي الإسلامي هجمة استعمارية منظمة ودقيقة كالتي شهدها القرن التاسع عشر وذلك نتيجة اختلال التوازن بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي،خاصة بعدما دخلت أوروبا في مرحلة جديدة من تاريخها المعروفة بالثورة الصناعية التي نقلت أوروبا من مجتمع بدائي زراعي إلى مجتمع صناعي يعتمد على وسائل أكثر تعقيدا،بينما العالم العربي أصبح منذ القرن الثامن عشر ميلادي يمر بمرحلة حرجة من تاريخه ميزها الجمود الفكري وانحطاط من كل المجلات ،ومع تقدم أوروبا وفي الوقت الذي أدركت فيه الدولة العثمانية أن ميزان القوى قد مال لغير صالحها ثم عزمها على خوض حركة التحديث في المجال العسكري أولا من اجل سد الهوة بين الطرفين يظهر حدث على مستوى العلاقة العثمانية المصرية ويتمثل ذلك الحدث في أن يتولى مُحَمَّد علي في سنة 1805م ولاية مصر والذي امتد حكم عائلته عليها حتى سنة 1952م.

ولكي نفهم شخصية مُحَمَّد علي والتحديثات التي حققها أو أراد تحقيقها يجدر بنا النظر إلى الأمور من منظور أوسع ،أي في إطارها العثماني . وعلينا أن نشير أن الحكم العثماني الذي امتد ثلاثة قرون قد ترك أثرا هاما على النظم القانونية والثقافية والاقتصادية في مصر، وانطلاقا من هذا النظام التقليدي شرع مُحَمَّد علي في عمله على هدي من حركة التجديد العثمانية التي كان يجري تنفيذها أنذاك في استانبول .

دواعي اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار موضوع التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي "مصر أنموذجا" هي محاولة الإطلاع على الجانب الثقافي للدولة العثمانية ،خاصة أننا تعودنا في السابق على الجانب السياسي والعسكري .فرتأينا أن نلتف إلى الجانب الثقافي مركزين بذلك على التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي واتخذنا في ذلك مصر نموذجا.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في معرفة أهمية الروابط التاريخية الراسخة بين الشعبين مصر والدولة العثمانية ،فهم يدينون بدين واحد ويتقاسمون تراثا ثقافيا واحدا،وفي إطار هذا التاريخ العريق تتبوأ العلاقات العثمانية المصرية مكانة متميزة . وبرزت بينهما بتراث ثري في المجلات العلم والثقافة والفنون والتعليم وقد استطاعت الرابطة بين القاهرة واستانبول أن تواصل بقائها حتى أوائل القرن العشرين.

الإشكالية:

لا يعد أي موضوع محلّ دراسة إلاّ إذا كان يحمل في طياته إشكالية ،وعليه تضمنّ إشكالية التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي ،وحتى نلم بهذا الموضوع وجميع جوانبه ،كان لزاماً علينا الإجابة على التساؤلات التالية:

ـــما هي طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي عامة ومصر خاصة ؟

ـــكيف كانت ملامح التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية ومصر؟

المنهج المتبع في الدراسة:

لقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي فكان لزاماً انتهاجه وذلك راجع لطبيعة المواضيع التاريخية التي تعتمد عليه لسرد الوقائع والأحداث بشكل دقيق ومفصل من اجل التعرف على أهم التنظيمات العثمانية في القرن التاسع عشر وإصلاحات مُحَّد علي في مصر كما تطرقنا أيضا إلى ملامح التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية ومصر.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

قسمنا موضوعنا إلى مقدمة وأربعة مباحث وكل مبحث ضم ثلاثة مطالب وخاتمة.

أما المبحث التمهيدي فقد خصصناه للتحدث عن "الأوضاع السياسية في المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي" .

فقد تناولنا في **المبحث الأول**: "الحياة الثقافية في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي" وهي تمثل أهم التطورات الثقافية العثمانية ،فتضمن **المطلب الأول**: الحياة الاجتماعية في الدولة العثمانية وتم التطرق فيه مختلف الجوانب الاجتماعية ،أما **المطلب الثاني**: تضمن أهم السلاطين القرن التاسع عشر وأهم تنظيماتهم الثقافية .أما **المطلب الثالث**: فقد تضمن في الحياة الدينية في الدولة العثمانية ،وقد تطرقنا فيه إلى الطرق الصوفية والأوقاف.

أما **المبحث الثاني** :المعنون ب "الحياة الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي " وتطرقنا في **المطلب الأول**: عن حركة الإصلاح والتحديث في عهد مُحَّد علي باشا،أما **المطلب الثاني**: فقد تحدثنا فيه عن إصلاح التعليم في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي،**والمطلب الثالث**: فقد تناولنا فيه التحولات الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

أما **المبحث الثالث**: والأخير الذي سمي ب "ملامح التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية ومصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي ،وقد تطرقنا في **المطلب الأول**:إلى" التواصل الاجتماعي"،**والمطلب الثاني**:فقد تحدثنا عن"التواصل اللغوي"،وأخيرا **المطلب الثالث**: فقد تناولنا فيه "التواصل الثقافي".

وفي الأخير ختمنا هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها ،إضافة إلى مجموعة من الملاحق تتبعها قائمة البيبليوغرافيا .

التعريف بالمصادر ومراجع الدراسة:

من أجل الإلمام بالموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر أهمها :"**عصر مُحَّد علي**"لمؤلفه "**عبد الرحمن الرافعي**"والذي تم التطرق فيه عن الحركة القومية في مصر وتطور نظام الحكم في مصر واعتمدنا على الطبعة الخامسة سنة1989م . أما عن أهم المراجع نذكر " **تاريخ الدولة العثمانية "المجلد الثاني** لصاحبه "**يلماز أوزتونا**"والذي تطرق فيه إلى تاريخ الدولة العثمانية في فترة التجديد والتنظيمات من سنة 1826م وتناول فيه سلاطين القرن التاسع عشر وإصلاحاتهم،أما المرجع الثاني فهو "**الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي"الجزء الأول** لصاحبه "**أكمل الدين إحسان أوغلي**"،تقديم "**رجب أردوغان**" والذي تناول مختلف الجوانب الثقافية التركية في مصر خلال عهد

مُحَمَّد علي باشا، والمرجع الثالث الذي اعتمدنا عليه كان كتاب "**الفكر العربي في عصر النهضة 1798_1939م**"لمؤلفه "**ألبرت الحوراني** "ترجمه "**كريم عزقول**" والذي تناول مجموعة من المفكرين وابرز مؤلفاتهم مثل "رفاعة الطهطاوي" .

صعوبات الدراسة:

لم تكن معالجتنا لهذا الموضوع بالأمر السهل خاصة فيما يتعلق باستخلاص ملامح التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية والمشرق العربي (مصر نموذجا)،وذلك راجع لطبيعة المصادر التي ركزت في دراستها على الجانب السياسي والعسكري لتهمل بذلك الجانب الثقافي للدولة العثمانية .ضف إلى ذلك عائق ترجمة الكتب الأجنبية الراجع إلى عدم حسن اللغات مع عدم معرفة تقنيات الترجمة ،كذلك ضيق الوقت الذي لم يسمح لنا بالإلمام بالموضوع خاصة أن طبيعة الموضوع (الثقافي) متشعب كثيرا.

المبحث التمهيدي: الأوضاع السياسية للدولة العثمانية في المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

أولا-العلاقة بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي بشكل عام.

ثانيا-العلاقة بين الدولة العثمانية ومصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

المبحث التمهيدي :الأوضاع السياسية للدولة العثمانية في المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر.

أولا :العلاقة بين المشرق العربي والدولة العثمانية في القرن التاسع عشر.

إن فلسفة الحكم العثماني كانت على أساس ترك الأمور في الولايات كما هي دون التدخل من جانب الدولة العثمانية في حياة الناس على أن يكون ذلك في إطار التبعية للسلطان العثماني، وإنما اكتفى بوضع حاميات للدفاع عن البلاد ونشر الأمن فيها. أما الأمور الداخلية فقد تركت لأهل البلاد ، و لحكامها من ولاة يعينهم السلطان أو من شيوخ واعيان أو أمراء يتصدون لعلاج مشاكل بلادهم وأهالي البلاد[1]. وقد أدت هذه السياسة إلى تجميد أوضاع البلاد العربية ثم انتقلت بذلك لتصيب الدولة العثمانية بالضعف والفساد وبعدما تدهورت الأوضاع في الدولة العثمانية اتجهت نحو مختلف الولايات وسارت هذه الولايات كذلك نحو التدهور في مختلف هذه السياسة إلى تجميد أوضاع البلاد العربية مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[2]. وقد استطاعت الدولة العثمانية أن تبسط سيطرتها بدرجات متفاوتة من القوة والضعف على غالبية العظمى من البلاد العربية والمتمثلة في العراق، الحجاز، اليمن، الشام، شبه الجزيرة العربية ومصر.

وأدى ضعف الدولة العثمانية، وسياستها التي تترك أمور الولايات للقوى المحلية القادرة لتحمل أعباء الحكم والإدارة والدفاع، وأدى ذلك إلى ظهور أسرات حاكمة في مختلف الولايات العربية في الدولة العثمانية، وأخذت كل أسرة حاكمة في كل ولاية كما هو الحال بالنسبة لمماليك مصر ومماليك العراق وأئمة اليمن، وتعتبر هذه التشكيلات السياسية والأسرية بمثابة البدايات الأولى لتكوين الدول العربية[3].

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار،تاريخ الشعوب الإسلامية ،د ط،دار الفكر العربي ،القاهرة ،د ت،ص225.

[2] نفسه ،ص226.

[3] نفسه،ص227.

و كـان التدهور مظهرا عاما في مختلف الولايات العربية، وبعد ضعفها بدأت تظهر على حساب قوى محلية تعمل على الحلول محلها، فقد ظهرت في العـراق المماليك(1749_1830م)وحاولت أن تسيطر على العراق من موصله إلى البصرة [1].

ولكن خلال القرون الواقعة (11هـ_17م)(12هـ_18م) وبصفة خاصة خلال (13هـ_19م) بدأت تظهر الملامح الرئيسية للوحدات السياسية ،ومن جهة أخرى عرفت الجزيرة العربية التي كانت فيها أسرة ألبو سعيد والتي تمكنت من تحرير البلاد من الغزو الفارسي .ولكن في مواجهة تيارات التفكك في شبه الجزيرة العربية بدأت حركة الوهابية [2]والتي تعمل على توحيد شبه الجزيرة، ولكن اصطدمت هذه الحركة بسياسة معاكسة مصدرها الخلافة العثمانية التي حملت لواء الجهاد ضد أوروبا دون غيرها من الدول العربية .وكان لزاما على الدول العربية أن تبقى في إطار الخلافة العثمانية حتى لا تتمكن القوى الاستعمارية من التغلغل فيها وانتزاعها .وكانت الدولة العثمانية في محلها من هذه الناحية خاصة عندما انقضت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة "نابليون بونابرت "[3]لتستعمرها ولتصل إلى الهند أن استطاعت عبر المستعمرات فرنسية على طول الشرق العربي .وبدا أن الدولة العثمانية وولاياتها أصبحت مهددة بتكرار حملات على نمط الحملة الفرنسية، وعدم قدرة إمكانيات الدولة العثمانية وحدها هي وولاياتها على التصدي لمثل تلك

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار،المرجع السابق،ص228.

[2] **الحركة الوهابية**:نسبة إلى مؤسسها عبد الوهاب (1703_1792م)وهي حركة ظهرت في شبه الجزيرة العربية في مبادئها التوحيد الذي حسب مؤسسها تعرض لكثير من التشويه والانحراف بسبب مفاهيم فكرية لبعض الحركات الهدامة التي مزجتها العقيدة إسلامية .أنظر :ليلى الصباغ:دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،مطبعة ابن حيان دمشقك1981_1984م،ص134.

[3] **نابليون بونابرت (1769_1821م)**:إمبراطور فرنسا ولد في أجاكسيوا،كان ضابط ثم رقي إلى رتبة جنرال ثم قائد للحملة الإيطالية (1796_1798م)،قضى على المماليك في الرحمانية ومعركة أمباية ولكن الانجلترا أغرقوا أسطوله في أبي قير وبعد عمله بالعزائم التي ألحقت بجيوش فرنسا في ايطاليا على يد النمسا وبين الروس ترك مصر،وذلك بعد أن عين"كليبر" قائد للجيش الفرنسي بها ،ووصل إلى باريس حيث أحدث باشتراكه مع سبيس إنقلاب سنة1799م،الذي أسقط حكومة الإدارة وأقام حكومة القنصلية .للمزيد أنظر :مُحَمَّد نصار ،الموسوعة العربية المسرة ،ج7،ط1،المكتبة العصرية ،لبنان 2010م ص3341.

الحملات.ولذلك بدأت الدولة العثمانية في القضاء على الأسرات الحاكمة في مختلف ولاياتها، والقضاء على الحركات المناهضة للعثمانيين وخاصة الحركة الوهابية .

كان السلطان العثماني مشغولا بمشكلات دولية كبرى، وكان بحاجة إلى تعبئة كل ما لديه من قوات لمواجهة ثورات شعوب البلقان[1]ضده، وللمواجهة الروسية والنمساوية،مما أدى به إلى إيجاد قوة قريبة من قلب شبه الجزيرة العربية تتولى مهمة القضاء على أل سعود.وكان عليه أن يتجه إلى مُحَمَّد علي باشا [2]والي مصر الذي استطاع أن يتولى حكمها بواسطة زعماء الشعب والذي استطاع أن يثبت أقدامه في حكم البلاد في وجه مقاومة عنيفة من جانب تحالف مملوكي _انجليزي ضده.

ولقد استطاع الشعب المصري أن يعطي مُحَمَّد علي فرصة لكي يتابع حكمه بعدما تغلب على التحالف المملوكي _الانجليزي وذلك في معركة رشيد عام 1807م وأرغم حملة فريزر [3]على انسحاب من مصر [4].ومن ثم أصبح مُحَمَّد علي واحدا من القوى المجاورة لشبه الجزيرة العربية القادرة على توجيه حملة ضد أل سعود ،وكانت القوة الأخرى هي مماليك العراق وكان والي العراق حينها سليمان باشا الكبير ولكن كافة حملاته باءت بالفشل ضد أل سعود،أما فيما يخص القوة الثالثة هي والي الشام والتي عرفت عجز من قبل ولاة الشام عن توجيه حملة ذات قيمة إلى شبه الجزيرة العربية ،وبالتالي أصبح المرشح الرئيسي لهذه المهمة مُحَمَّد علي والي مصر

---

[1] **البلقان**:شبه جزيرة جنوب شرقي أوروبا بين حجر الأسود في الشرق والبسفور والدردنيل وبحر مرمرة في الجنوب وبحر أيونيا والأدرياني غربا ،ونهر الساف والدانوب شمالا ،وبذلك يدخل فيها ألبانيا صلب بلاد اليونان ،وجنوبي رومانيا وبلغاريا وتركيا الأوروبية ومعظم يوغسلافيا.أنظر:مُحَمَّد شفيق غربال ،الموسوعة العربية الميسرة،المجلد 1،ص324.

[2] **مُحَمَّد علي باشا**:(1770_1849م)،والي مصر،ولد بمدينة قولة بمقدونيا ،قدم إلى مصر كقائد لفرقة عسكرية لتصدي للحملة الفرنسية ،يعد المؤسس الأول لدولة مصر الحديثة ،قام بعدة إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية وضم السودان،شارك في حرب المورة .للمزيد أنظر :خير الدين الزركلي،الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج6،ط15،المكتبة العصرية،لبنان:2002م،ص294.

[3] **حملة فريزر**:1807مقام بها الانجليز وكان الغرض منها هو احتلال الإسكندرية لمنع الفرنسين من النزول فيها ،ولضمان قاعدة بريطانية في المنطقة كانت تعتمد على مساندة المماليك ولكنها فشلت وتم عقد الاتفاق البريطاني المصري .أنظر:عبد العظيم رمضان،تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث،د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر1993م ص 81_86.

[4] جميل عبيد،قصة احتلال اليونان(1824_1827م)،د ط،مطابع الهيئة المصرية العامة ،1990م،ص17.

[1].لأنه كان يريد التوسع في الشام ولم يكن معنيا كثيرا بأمور شبه الجزيرة العربية ،وطلب مُحَمَّد علي من السلطان العثماني أن يمنحه الشام مقابل إخماد حركة الوهابية،ولكنه هبت عواصف على مُحَمَّد علي واتهم بأنه يسعى إلى سلب السلطان حقوقه في مصر،وخلال سنوات حكمه كان يخشى من أن يثور ضده لو اصطدم علانية بالسلطان العثماني ،لذلك لجأ إلى تلبية طلبات السلطان وذلك من خلال وضع كل ما لديه من قوات من أجل حملة ضد أل سعود،ومقابل ذلك يطلب بضم الشام إليه.

ومن هنا يمكن لنا أن نقول بأن موقع مصر وأهميته في قلب الوطن العربي يملي على زعمائها اتجاهات عربية وقومية،فلقد وجد نفسه تيار عازم يدفعه نحو البلاد العربية ،فدور مصرفي اتجاه هذه البلاد العربية تمليه أوضاع المنطقة السياسية والاقتصادية والإستراتيجية من القدم ،فضلا عن أوضاع مصر نفسها .وتمكن مُحَمَّد علي من إرسال حملاته إلى شبه الجزيرة العربية ،ودارت المعارك في أول الأمر لصالح الوهابين ،ولكن لم تلبث الإمكانيات العسكرية الحديثة البسيطة التي كانت لدى إبراهيم باشا[2]أن تغلبت على الحماس الديني لدى الوهابين .وتمكن إبراهيم باشا من الإستلاء على الحجاز ثم نجد[3]ووصلت قواته حتى الأحساء عام(1818م) ولم تبقى القوات المصرية في منطقة الأحساء إلى فترة وجيزة ثم انسحبت بسرعة إلى نجد وما وراءها.وهذا يعتبر نوع من التقصير في النظر السياسي ،خاصة وان القوى الحاكمة قريبة من الأحساء والخليج العربي كانت هي الأخرى لا تقدر حقيقة الأوضاع التي كانت عليها الخليج العربي تقديرا سليما إذا كان الانجليز اغتنام الفرص لفرض نفوذهم على منطقة الخليج العربي واحتكار التجارة والملاحة [4].

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار ،المرجع السابق،ص254.

[2] **ابراهيم باشا (1789_1848م)**:قائد مصري ،الإبن الأكبر لمحمد علي ،شارك إلى جانب السلطان محمود الثاني وتمكن من إخماد الثورة اليونانية (1825_1828م)فتح فلسطين والشام .انظر مُحَمَّد شفيق غربال :الموسوعة العربية الميسرة ،المجلد 1،ص463.

[3] **نجد**:مقاطعة بوسط المملكة العربية السعودية يحدها شمالا العراق والأردن وشرقا مقاطعة الأحساء ،وجنوبا رمال ربع الخالي ،وغربا الحجاز.أنظر :مُحَمَّد شفيق غربال ،الموسوعة العربية الميسرة،المجلد 1،ص1662.

[4] عبد العزيز سليمان نوار،المرجع السابق ،ص231.

وعلى أية حال فلقد تمكنت البحرية الانجليزية من ضرب معاقل القوى العربية التي كانت متحالفة مع الوهابين،خاصة رأس الخيمة سنة (1819م)،وبعد عامين تقريبا بدأت دوائر حكام بغداد من المماليك، و دولة مُحَمَّد علي في القاهرة تدرك كم أصبحت عليه أوضاع الخليج العربي، من خطرة على ا لمناطق بسبب سياسات الانجليز الاستعمارية[1].ولم يقتصر فقط في الخليج العربي وإنما امتد إلى البحر الأحمر .ومن هنا يمكننا القول بان القوة الاستعمارية البريطانية قد بدأت تدق بعنف أبواب شبه الجزيرة العربية والعراق واليمن ،وقد يمتد ذلك بسرعة إلى السويس [2]نفسها وفي مثل هذه المقاومة كان يتطلب استخدام أسطول مناسب لتصدي هذا الخطر غير أنا ذلك لم يكن متوفرا مما تمكن الأسطول البريطاني من التفوق، والى جانب ذلك اتجهوا إلي بغداد داود باشا إلى محاولة شراء بعض السفن الحربية، وذلك من خلال لجوءه إلى القواعد البريطانية ولكنها رفضت تزويده وذلك حفاظا على السيطرة على الخليج العربي .أما فيما يخص مُحَمَّد علي فقد سعى إلى تكوين جيش وأسطول كبيرين، وكانت ظروفه أفضل من ذلك، ومن هنا فان قوة مصر العسكرية قد نمت بحريا وبريا، وأصبح في نظر السلطان العثماني أداة يمكن أن يستخدمها في أية جبهة تستدعي منه إرسال جيش إليها من ذلك وعندما تعرضت العراق لغزو من طرف الفرس عام (1820_1823م)اتجه السلطان العثماني لمصر ,وذلك لطلب من مُحَمَّد علي أن يسرع في إنقاذ العراق من الغزو الفارسي. وشعر مُحَمَّد علي أن السلطان العثماني سيصر على تكليفه بتلك المهمة وهنا اعد مُحَمَّد علي العدة العسكرية اللازمة لمواجهة هذه الحرب،و كان مُحَمَّد علي بحاجة إلى جيش كبير، في أقصى سرعة ممكنة مما أدى به إلى مراسلة ابنه إبراهيم باشا الذي كان يقوم بفتح السودان[3] بان يرسل له أعداد كبيرة من السودانيين إلى مصر ليعد منهم

---

[1] عبد العزيز نوار، المرجع السابق ،ص233.

[2] **قناة السويس** :هي قناة ملاحية تقع في الشمال الشرقي لمصر تمتد من بور سعيد حتى بور توفيق بالقرب من السويس و تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر .انظر:مُحَمَّد حسين نصار ،الموسوعة العربية الميسرة ،ج5،د ط،المكتبة العصرية ،بيروت:2009م،ص2588.

[3] **السودان**:جمهورية تقع شمال افريقيا ،عاصمتها الخرطوم يحدها من الشمال المملكة العربية المتحدة ،وشرق البحر الأحمر وأثيوبيا وأغندا والكونغو وجمهورية افريقيا الوسطى وتشاد وكينيا .انظر مُحَمَّد شفيق غربال ،الموسوعة العربية ،المجلد 1،ص1025

جيشا كبيرا يخوض بهم معارك تحرير العراق من الفرس .وأدت الحرب الفارسية _العراقية إلى نتيجة هامة بالنسبة إلى مصر فقد وسعت مدارك مُحَمَّد علي وجعلته يرتفع إلى مستوى المسؤوليات الجسام الملقاة على كاهل مصر[1] .عمل مُحَمَّد علي على أن تكون أمامه صورة واضحة لما كان يجري في الحملة العراقية وأدرك أن الحملة المطلوب إرسالها ستواجه متاعب قاسية بسبب طول الطريق بين العراق ومصر، ولم يكن هذا هو السبب وإنما كانت أنظار مُحَمَّد علي مرتكزة على الشام ،على اعتباره انه المجال الذي يجب أن تعمل فيه مصر أولا لاعتبارات سياسية واقتصادية وعسكرية ،ولذلك ترك أمر الحرب في العراق خاصة وان الجيش الفارسي كان يسير نحو الانسحاب وكان تركيزه الكامل على بناء جيش وأسطول مصري كبير يستطيع بهما أن يدافع عن مصر أو الشام من الخطر الاستعماري البريطاني. وخلال العشرينات من القرن التاسع عشر أصبح بيد مُحَمَّد علي جيش وأسطول كبيران كانا موضع حسد من قبل الدول الكبرى الشرقية والغربية على سواء ،إذا كانت فكرة ظهور دولة قوية في قلب الوطن العربي كفيلة بان تثير مخاوف عيونها حول المنطقة .وقد بدا هذا يتجلى عندما كلف السلطان العثماني مُحَمَّد علي باشا بقيامه بإخضاع ثورة المورة (اليونان)التي عجزت الجيوش العثمانية عن إخضاعها خلال جهود استمرت حوالي ست سنوات[2].وهنا تمكن مُحَمَّد علي من إرسال جيش مصري وأسطول نحو المورة وتمكن من أن يسيطر على الموقف فتكاتفت الدول الأوروبية بأساطيلها ضد الأسطول المصري في نواربن وهاجمته مجتمعة وأغرقته عام (1837م).وكان هذا حافزا لمصر لإعادة بناء جيشها وأسطولها لكي تتمكن من إنقاذ المشرق العربي من الأخطار الاستعمارية الأوروبية ومن الحكم العثماني .ولقد ركز مُحَمَّد علي جهده صوب الشام التي وعد بها السلطان لو اخضع ثورة المورة ولكن لم يلبث السلطان أن رفض تنفيذ ما وعد به فقرر مُحَمَّد علي أن يحقق ذلك بقوة .

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار ،المرجع السابق،ص255.

[2] علي مُحَمَّد الصلابي،الدولة العثمانية ،عوامل ونهوض وأسباب السقوط ،ط1،دار التوزيع والنشر الإسلامية،دت،ص360

ولكن يجب التأكيد هنا بادئ ذي بدء أن علاقة مُحَمَّد علي باشا بالشام لم تكن بقاصرة على تلك الأهداف الإستراتيجية و الاقتصادية [1] ، و إنما كانت زعامات الشام هي التي تلح عليه كذلك كي يقدم إليهم و ينقذهم من الفوضى التي كانوا يعانون منها و لقد لجأ إلى مصر العديد من زعماء الشام و حكامه من أمثال بشير الشهابي،عبد الله الجزار ، زعماء نابلس وزعماء القدس ، كذلك كانت العلاقات تنموا بسرعة بين مصر و الشام فقد حث مُحَمَّد علي بشير الشهابي على الإكثار من استخراج الفحم الحجري و إرساله إلى مصر ،كما أن الشام كان في حاجة إلى كميات متزايدة من قمح مصر، قبل أن يرسل مُحَمَّد علي قواته المسلحة إلى الشام كانت منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة و الدولة العثمانية تتعرض لهزات عنيفة ، فقد كانت الدولة العثمانية لا تزال تعاني من مرارة هزيمتها أمام روسيا التي فرضت عليها[2] معاهدة 1829م[3]، و نزلت القوات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر في 1830م و كانت هناك ثورة في العراق ضد السلطان العثماني يقودها داود باشا (1830م).

و بدا كأن المنطقة تسير في تيار خطر ، و إن على مُحَمَّد علي أن يضمن سلامة مصر ، و سلامة الشام بوضعهما تحت حكم واحد ، فبعث بإبراهيم باشا على رأس القوات المصرية لضم الشام إلى مصر . وخلال 1831-1832م توالت انتصارات الجيش المصري على الجيش العثماني خاصة في موقعة قونية 1832 م التي جعلت الطريق إلى الإستانة مفتوحا أمام الجيش المصري، وفعل المي توقف الجيش المصري إلا بعد أن وصل إلى كوتاهية في أقصى الشمال الغربي من الأناضول، وكانت وقف الزحف المصري نتيجة لتدخلات الدول الكبرى الأوروبية ضد مصر،وكانت تدخلات دبلوماسية قوية مغلفة بتهديدات عسكرية ، ومع ذلك اضطر السلطان العثماني إلى منح مُحَمَّد على حكم(أطنه و الشام) و قد عقد

---

[1] فطموحات مُحَمَّد علي كانت تهدف إلى بناء إمبراطورية عربية تكون قاعدتها مصر و هو ما لم يكن ليتم إلا بضم سوريا فضمها لمصر معناها في النهاية إضفاء شرعية على الإمبراطورية العربية المنتصرة نظرا لأن سوريا كانت دائما أحد الأضلع الثلاثة التي قامت عليها معظم الدول الإسلامية الكبرى .للمزيد أنظر، مُحَمَّد عبد الستار البدري : المواجهة المصرية الأوربية في عهد مُحَمَّد علي،ط1، دار الشروق ،القاهرة ،2001، ص95.

[2] عبد العزيز سليمان نوار :المرجع السابق،ص235.

[3] **معاهدة 1829**: أدريا نوبول : فإلى جانب خسارتها لليونان فقد خسرت الدولة العثمانية جزءا كبيرا من جيشها ،فضلا عن أموال طائلة في صورة تعويضات حرب لروسيا.

السلطان معاهدة سرية دفاعية هجومية مع روسيا(خنكارسكله سي 1833م) بعد أن يئس من [1] تدخل فرنسي أو إنجليزي ضد مُحَمَّد علي.كان في هذه التطورات فضلا عن وقوع خطوط المواصلات العالمية عبر الشرق الأدنى بين الغرب و الشرق في يد مصر عاملا جوهريا في تحرك الاستعمار البريطاني ضد مصر، فأعلنت الدولة البريطانية سياستها الخاصة بالمحافظة على "كيان الدولة العثمانية " تمهيدا لإرغام مُحَمَّد علي على التخلي عن الشام و عن شبه الجزيرة العربية ،و أثارت إنجلترا القوى المحلية في الشام ضد الحكم المصري، ووضعت سفنا مسلحة في نهر الفرات لمنع القوى العراقية المناصرة لمصر من التعاون مع القيادة المصرية في الشام ،و منعوا شيخ البحرين من التعاون مع مصر، و استولوا على عدن 1839م فأسرعت بريطانيا إلى تكوين تكتل أوربي ضد مصر و أرغمت القوات المصرية على الانسحاب من الشام و من شبه الجزيرة العربية و فرضت على مصر تسوية (1840 – 1841م) التي جعلت حكم مصر في أسرة مُحَمَّد علي ، وحددت عدد الجيش و أبقت لمصر حكما ذاتيا في إطار التبعية الإسمية للدولة العثمانية [2]والجدير بالذكر أن هذا التكتل العثماني الأوروبي ضد مصر خلال(1833-1841 م) كان يتم في نفس الوقت الذي كانت فيه فرنسا تستعمر ولاية الجزائر العثمانية بموافقة انجلترا.بعد انتهاء أزمة التوسع المصري في المشرق العربي أصبح الوضع في البلاد العربية على النحو التالي:

1)- العراق: قضى العثمانيون على مماليك العراق وحكموا العراق مرة أخرى حكما مباشرا استمر من 1831-1917م

2)- الخليج العربي : قوي فيه التسلط الإنجليزي على مشيخته، و على دولة البو سعيد خاصة بعد وفاة السيد سعيد في : 1856م

3)- عدن:استولى عليها الإنجليز في 1839م و شرعوا في تنفيذ سياسة فصل (المحميات التسع) عن اليمن و هي التي كانت في منطقة حضر موت [3]

---

[1] عبد العزيز نوار، المرجع السابق،ص235.

[2] للمزيد من التفاصيل أنظر :مُحَمَّد عبد الستار،البدري،المرجع السابق،ص 142إلى ص152.

[3] عبد العزيز سليمان نوار: نفسه،ص236

4)- الشام : كان موزعا إلى عدة ولايات ، ولاية الشام (دمشق) ولاية طرابلس ، ولاية حلب سنجقيه القدس ، و إمارة جبل لبنان ، و كان الموارنة[1] قد أصبحوا أكثر تقدما من المسلمين و كانوا يعدون العدة لإقامة دولة لهم (مستقلة) الأمر الذي أدى على صراع بينهم و بين المسلمين و خاصة الدروز[2]، و هو صراع نشب بشدة بعد الانسحاب المصري من الشام الأمر الذي أدى إلى تدخل الدول الكبرى الأوربية لصالح موارنة لبنان و ترتب على ذلك إقامة نظام القائمقاميتين أي تقسيم جبل لبنان بين المسيحين (الموارنة) و الدروز إلا أن هذا النظام ساعد على تصاعد الصراع الطائفي الذي وصل ذروته فيما عرف باسم مذابح الستين (1860م) و إنشاء نظام المتصرفية أما في دمشق و حلب فقد قامت نهضة عربية ، وكذلك في لبنان سيكون لها أثرها في الحركة التحررية في الوطن العربي هذا بينما أصبح فلسطين هدفا للاستعمار الصهيوني منذ العقدين الأخيرين للقرن التاسع عشر .[3]

(5) مصر قامت بنهضه كبرى تعليمية ،و اقتصادية، و سياسية ،و لكنها نكبت بأزمة مالية أدت إلى ثورةأحمد عرابي[4] ثم إلى الاحتلال البريطاني لها

6) مكة: كانت تحت حكم اشراف الحجاز.

7) اليمن : تحت حكم أئمة زيديين يعانون الكثير من الصراعات الداخلية .

---

[1] **الموارنة** : طائفة تنتمي الى كنيسة القديس مارون اسناسك الذي عاش في بسوريا حتى عام 410م ،ونزحت الطائفة الى شمال لبنان ،وترتبط هذه الطائفة بكنيسة روما الكاثوليكية .انظر: بان احمد الصائع ،سياسة بريطانيا اتجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية 1839م-1914م،مجلة التربية والعلم ،م19،ع 5، جامعة الموصل ، العراق ،2012م، ص30

[2] **الدروز** : هي فرقة باطنية تنتسب إلى الخليفة الفاطمي الحكم بأمر الله أخذت كل عقائدها من الاسماعلية نشأت في مصر وهاجرت إلى الشام لاحقا للمزيد أنظر : عبد الوهاب الكيالي : الموسوعة السياسية،ج2،المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت، د ت،ص676.

[3] عبد العزيز سليمان نوار :المرجع السابق، ص237.

[4] **احمد عرابي**:1257م-1329هـ | 1841-1911م ،احمد عرابي بن مُحَمَّد واقي بن مُحَمَّد غنيم ، زعيم مصري ولد في قرية "هربة رزنة" من قرى الزقازيق بمصر ، درس في الأزهر سنتين ثم انتظم في الجيش سنة 1271هـ،بلغ رتبة أميرالاي في أيام الخديوي للمزيد انظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ،ج 1،ط15،دار العلم للملايين ،بيروت ،ص 178

و كانت تلك الهزائم التي منيت بها الدولة العثمانية أمام الدولة الأوربية و أمام مصر و شعور الدولة العثمانية بأنها مختلفة عن باقي الدول الأوربية بل و عن تابعتها مصر ،عملت على الإسراع في إعادة تجديد نفسها لعلها بذلك تستطيع التصدي للتدخل الأوربي في أمورها ، و لعلها تعيد قبضتها القوية على مختلف أجزاء الدولة العثمانية فأقدمت على إصلاحات في مجال العلاقة بين الدولة و الرعية و في المجال العسكري ،و كانت اهم مظاهر التجديد في الدولة العثمانية هي المراسيم التي أصدرها السلطان العثماني[1] و عرفت باسم (التنظيمات العثمانية) و عرفنا فترة التنظيمات العثمانية بأنها الواقعة بين صدور أول خط (مرسوم) في 1839م و هو خط كلخانة[2]وصدور الدستور العثماني على يد مدحت باشا في 1876م.

و بين هذين التاريخين صدر خط هام جدا هو (الخط الهمايوني) [3]في أعقاب حرب القرم (1856م) و كان ينص على مساواة الرعية في الحقوق والواجبات و في إدخال الإدارات و النظم الأوربية في مختلف أجزاء الدولة العثمانية. و لكن في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تحاول أن تدخل هذه النظم التجديدية واجهت عدة عقبات عنيفة للغاية حالت دون تحقيق الأهداف من ورائها :

1) _استمرار الضغط العسكري على أجزاء الدولة العثمانية بشكل جعلها تولي المشكلة العسكرية أهمية أكثر بشكل عرقل عجلة الإصلاح.

2) _ في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوربية تنادي بضرورة تطبيق المساواة بين مختلف رعية السلطان العثماني كانت تثير النعرات الطائفية خاصة في لبنان الأمر الذي أدى إلى

---

(1) سليمان نوار: نفسه ص 239

(2) **مرسوم كلخانة:** الذي صدر في شكل خط شريف همايوني ،الذي قرأ في حفل رسمي كبير في قصر كلخانة، فعرف بذلك القصر، وضع قواعد الإصلاح على المبادئ الأوروبية :للمزيد من التفاصيل انظر :إسماعيل احمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د ط ، مكتبة العبيكان،ص153

(3) **التنظيمات الخيرية:** وهو المرسوم الثاني الذي تستند إليه حركة التنظيمات العثمانية،فقد صدر عقب حرب القرم 1854-1856م التي بدأتها روسيا للقضاء على الدولة العثمانية، وفي هذه الحرب انظمت بريطانيا إلى الدولة العثمانية تبع لمصالحها، وبالتالي صدر خط شريف همايوني بتاريخ 18 فيفري 1856م وهو الخطا لذي عرف بمنشور التنظيمات الخيرية : للمزيد انظر: إسماعيل احمد ياغي،المرجع السابق،ص155-156-157

الحوادث الدامية في لبنان (1860م) و في جدة (1858م) و في العراق حوالي ذلك الوقت.

– يعتبر عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876–1909 م) من أخطر عهود الدولة [1] العثمانية لأنه وضعها أمام المشكلة القومية و أمام المشكلة الدستورية و أمام المشكلة الاستعمارية و أمام المشكلة الاقتصادية .

والمعروف أن الدولة العثمانية منذ حرب القرم (1853–1856م) [2]قامت بجهود كبيرة من أجل تطبيق و تنفيذ الإصلاحات و قد طبقت فعلا مجموعة كبرى من الإصلاحات على رأسها

تنفيذ نظام الأراضي (الطابو)[3]و تنفيذ قانون الولايات [4].ومجموعة قوانين أخرى، صدرت بين سنتي 1859م –1864م تتعلق بالمحاكم الشرعية والقانون التجاري، والضرائب، والجمارك، والأوقاف، والزراعة، والبلديات، و المطبوعات [5] .

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق ،ص 239.

[2] إلا أن تفاعلات حرب القرم (1853–1856م) التي خاضتها الدولة العثمانية ضد روسيا كان لها اثر في اصدار مرسوم 1856م الإصلاحي، فالحرب التي شنتها روسيا كانت بسبب امتناع السلطان عبد المجيد الموافقة على طلب هذه الدولة حماية طائفة المسيحيين الأرثوذكس من رعايا الدولة العثمانية ، ولما كانت مصالح فرنسا و بريطانيا لا تتفق و رغبة روسيا في تمزيق الدولة العثمانية، وبالتالي وقفت هاتان الدولتان إلى جانب الدولة العثمانية، فكانت النتيجة هزيمة روسيا :للمزيد من التفاصيل انظر: جميل موسى النجار،الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني(1869–1817م)،ط1، مكتبة مديولي ،القاهرة:1991م،ص44 .

[3] **قانون الأراضي**: الصادر في 21 أفريل 1858م قانون الجزاء (العقوبات):الصادر في1858م نظام الطابو (السجل العقاري) 14ديسمبر1858م انظر: موسى النجار، نفسه ،ص44.

[4] **نظام الولايات** :8نوفمبر1864م،من اجل تنظيم وتحسين الإدارة الحكومية في الإيالات،وتأكيد سيطرة الدولة عليها .انظر: جميل موسى النجار: نفسه ،ص48.

[5] نفسه،ص47.

– دعا مدحت باشا [1]لتطبيق الدستور ورفع البلاد إلى مستوى العصر عن طريق نظام حكم دستوري خاصة و أن السلطان عبد العزيز كان مسؤولا عن التدهور الاقتصادي في البلاد الأمر الذي جعل مدحت باشا يعمل على تنفيذ نظامه الدستوري بأية وسيلة و لهذا عزل مدحت باشا السلطان عبد العزيز و أسند الحكم و العرش إلى عبد الحميد الثاني .

– جاء عبد الحميد الثاني بعد وعد قاطع بإصدار الدستور[2] ولكنه كان يضمر الوصول إلى الحكم المطلق لا إلى الحكم الدستوري، و بتولي عبد الحميد العرش بدا و كأن دعاة الإصلاح سيتفوقون في الدولة العثمانية وأنهم بإصدار الدستور سيوحدون البلاد ويقضون على الفتن، إلا ان القوى الأوربية الطامعة في الشرق الأدنى كانت في التطور الدستور يخطرا على أطماعهم، فلا يكاد مدحت باشا يتخذ الخطوات الأولى نحو إصدار الدستور حتى أعلنت روسيا[3] الحرب على الدولة العثمانية. و استطاعت روسيا تهزم جيوش الدولة العثمانية و استولت على باطوم و قارص و بايزيد و اصبحت تهدد أرمينيا، و بالتالي أصبحت المنطقة الواقعة في أعالي نهر دجلة في متناول الروس ثم جاء[4]الانتصار الكبير في بلغنا الذي جعل الروس على مشارف الاستانة و لما فرضت روسيا معاهدة سان ستيفانو (1877-1878 م) على الدولة العثمانية و أصبحت بلغاريا نتيجة لتلك التطورات اكبر و اقوى من اللازم بدا كأن الدولة العثمانية على وشك الانهيار، و كان هناك اعتقاد بأن إنجلترا تحافظ على كيان

---

[1] **مدحت باشا** :1822-1865م هو صدر اعظم تقلد مناصب في الدولة العثمانية ،حيث شغل منصب الوالي في عدد من مناطق الحدود مثل الشام وبغداد ،وعين صدرا أعظم لأكثر من أربع سنوات وذلك ما بين 1867م-1871م ، وهو صاحب فكرة الدستور وقد اهتم بالتآمر في مقتل السلطان عبد العزيز فتم نفيه الى الطائف ،وتوفي هناك سنة 1885مكانت له علاقات مباشرة مع انجلترا .للمزيد انظر :موفق بني المرجة ،صحوة الرجل المريض او السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية،د ط،مؤسسة صقر الخليج،الكويت:1984م ص 55.

[2]أعلن في سنة 23 ديسمبر 1293هـ|1876م الدستور الذي يضمن الحريات المدنية وينص على مبدأ الحكومة البرلمانية وبموجب هذا الدستور ،كان البرلمان يتكون من مجلسين :مجلس النواب أو المبعوثان ثم مجلس الأعيان أو الشيوخ .للمزيد من التفاصيل انظر: إسماعيل احمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ص ص179 - 180-181 .

[3] عبد العزيز سليمان نوار :المرجع السابق ،240

[4] نفسه، ص 240.

الدولة العثمانية وإنها لابد و ان تدخل إلى جانبها ضد روسيا و لكنها في هذه الظروف لم تتمسك بتلك السياسة.

إلى جانب هذا كانت إنجلترا تسعى إلى تكوين عصبة البحر الأبيض المتوسط من كل من فرنسا و بريطانيا و إيطاليا لمنع انتشار الروس في حوض البحر المتوسط و لكنها لم تنجح في هذه السياسة فكان البديل أمامها هو الاتفاق مع كل من فرنسا و إيطاليا على اقتسام ولايات الدولة العثمانية .

و حينذاك كانت إنجلترا قد اشترت أسهم قناة السويس و بدأت تخطط لاحتلال مصر و كان دزرائيلي يسعى إلى السيطرة على قبرص و كريت كما كان هناك سياسي مصري (نوبار باشا) يحث دزرائيلي على احتلال الإنجليز لمصر و كان نوبار قد اتصل أيضا بيسمارك الذي كان يرى أن الدولة الأوربية يجب أن تحارب بعضها البعض من أجل اقتسام ولايات الدولة العثمانية و إنما عليها أن تقسمها على مائدة المفاوضات .

و فعلا عقد المؤتمر و أصدر مجموعة من القرارات أدت إلى أن تفقد الدولة العثمانية معظم البلقان أما فيما يتعلق بالبلاد العربية فقد اكتشفت فرنسا أن إنجلترا قد اقتنصت[1] سرا قبرص من الدولة العثمانية ،و لكي تهدئ إنجلترا من ثورة فرنسا وجهتها الى تونس .

هذه هي بعض من المشاكل الكبرى التي واجهها السلطان الخليفة عبد الحميد الثاني، واجه متناقضات ضخمة ، الحكم الدستوري و الهزيمة العسكرية و المذلة الدبلوماسية في أروقة مؤتمر برلين سنة 1878م.

و سرعان ما التف حوله جماعات من المنتفعين بالسلاطين و هي جماعات تعيش على الدس و المؤامرة و سلب الأموال و تطلع عبد الحميد حوله و تساءل كيف يستقر على عرشه في هذا الجو العجيب المليء بالدسائس المقربين و العسكرين والوطنيين المتخاذلين و رجال الدين المتشددين بالإسلام الجاهلين بتعاليمه، فقرر أن يضع نفسه فوق كل هؤلاء فكانت[2] فكرة

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار :المرجع السابق ،ص 241.

[2] نفسه ،ص242.

الجامعة الإسلامية[1] تهيئ له تكوين شخصيته القائمة على الزعامة و الإنفراد و الفكر الإسلامي .

و حيث أن عبد الحميد يرفض الاتجاه الدستوري لهذه الفكرة و لهذا أخذ عبد الحميد بالمفهوم الإيديولوجي السطحي دون المفهوم الدستوري الديمقراطي هذا التمسك خلق قوى معارضة من داخل البلاد نفسها بعضها كان أصيلا نابعا من فكر و تقليد إسلامي عربي و بعضها كان مطعما بفكر غربي ، وبعضها كان شديد الارتباط بالفكر العربي و كان عبد الرحمن الكواكبي من الطراز الإسلامي و ظهر نجيب عازورى الذي طالب بخلافة عربية أيضا و لكنه في نفس الوقت كان يدعو إلى استقلال العرب و ارتباطهم ارتباطا شديدا بأوروبا و خاصة فرنسا .لقد أدى ظهور هذه الاتجاهات إلى اهتزاز مكانة السلطان عبد الحميد و تهيأت الأذهان لأحداث تغيير جوهري

وبالتالي ظهرت المعارضة العربية للاحتكار التركي للحكم منذ دستور 1876م ذلك الدستور الذي صدر على يد مدحت باشا و أنشأ مجلس المبعوثات (**مجلس النواب**) في هذا المجلس تعرض حكم عبد الحميد الثاني للنقد، فكانت هذه المعارضة من أسباب التي جعلت عبد الحميد يوقف العمل بالدستور و في البرلمان.[2]

ولم يكن من اليسير عل السلطان عبد الحميد أن يقضي على هذه المعارضة [3] فمع انه سيطر على الصحافة في داخل الولايات العثمانية ،إلا أن صحف لبنان ومصر كانت شديدة الوطأة عليه. ومن لبنان ومصر خرجت قوى المعارضة يشيد أزرها الإنجليز في مصر والفرنسيون في لبنان، وكان الكواكبي يعمل ضد السلطان العثماني من مصر دون أن يعمل

---

[1] وذلك باستخدام الدين لمقاومة معارضيه في الداخل ،ومواجهة اعدائه في الخارج، غير ان الربع الاخير من القرن التاسع عشر شهد تيارا فكريا اسلاميا وهو الجامعة الاسلامية على يد المصلح الديني والفيلسوف السياسي جمال الدين الافغاني 1255-1315هـ/1839-1897م .للمزيد من التفاصيل انظر احمد ياغي :المرجع السابق،ص198-199-200-201 -202-203.

[2] سليمان نوار،نفسه،ص244.

[3] لجأ إلى الرقابة والبوليس والجواسيس والنفي لإسكات المعارضة فصادر الصحف واخضع المدارس التبشيرية للرقابة ،وحرم على المسلمين الالتحاق بها، كما اخضع المدارس العثمانية للرقابة ، وكذلك الاجتماعات العامة .للمزيد انظر: احمد ياغي ،المرجع السابق ، ص ص205-207 .

على تقويض الدولة العثمانية أما الإنجليز في مصر فكانوا يرون في حركة الكواكبي تقويضا للدولة العثمانية[1].

ثانيا–العلاقة بين مصر و تركيا في القرن التاسع عشر ميلادي:

إن مُحَمَّد علي الذي تولى حكم مصر بمقتضى فرمان شريف صادر في 1220 هـ[2] وحارب الوهابيين بناء على رغبة السلطان محمود الثاني و أسر على زعيمهم و أرسله للسلطان و قتله[3].

هو مُحَمَّد علي نفسه الذي هدد حدود الدولة ، و كادت الإستانة تسقط في يده و كانت البداية حينما غزى الشام و التي قيل في أسبابها إن مُحَمَّد علي دمرت له الدول المتحدة أسطوله في موقعة نافرين و تم جلاء المصريين عن اليونان أراد بناء سفن جديدة فقام بفرض ضرائب

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار: نفسه ،ص245

[2]في حكم لها صادر بتاريخ 16 ماي 1935م، تقول محكمة النقض المصرية : (إن الجنسية المصرية قائمة بذاتها لم يكن لها وجود بل كانت جنسية المصريين الدولية هي الجنسية العثمانية المقررة بالقانون العثماني الصادر في 1869م و الذي كانت تملك فيه مصر صرفا و عدلا) و قد سلمت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب المصري في تقريرها المقدم إلى المجلس بتاريخ 9ماي 1928 م بأن (الجنسية المصرية) لم تخلق في نظر أحكام القانون الدولي إلا يوم 5 نوفمبر 1914م و هو تاريخ انفصال مصر الفعلي عن الدولة العثمانية عقب نشوب الحرب العالمية الأولى إن استقراء النقوش الكتابية و إلقاء الضوء عليها من خلال الأحداث التاريخية في القرن التاسع عشر ليؤكد لنا أن هذا كان أمرا نظريا فحسب فعلى الرغم من غزارة النقوش الكتابية التي غزت مسطحات العمارة المصرية في تلك الكتابات بل يمكن حصرها في ثلاث ألقاب وردت بنص إنشاء المدافن الملكية "حوش الباشا" 1270هـ و هي ألقاب " سلطان السلاطين – خاقان الخواقين – خان ، و أطلقت على السلطان عبد المجيد ،و تزداد هذه الندرة وضوحا إذا ما قارناها بألقاب ولاة مصر في تلك الفترة ،بل إن مُحَمَّد علي منح نفسه لقب خان، و هو لقب كان حكرا على سلاطين آل عثمان و لم يدعه لنفسه أحد من ولاة الدولة العثمانيةمع أن هذا اللقب لم يحصل عليه بصورة رسمية من الدولة العثمانية و خلع على نفسه لقب خديوي إذ أن هذا اللقب ورد له على النقوش بتاريخ 1231 هـ، إلا الخديوي إسماعيل، أيضا ورد بالنقوش لقب الغازي لقب لمحمد علي و هو لقب لم يطلق على أحد من ولاة الدولة قبله ، بل كان لقبا خاصا بالسلاطين ، هذا إضافة إلى العديد من الألقاب التي يرد العديد منها بالنقوش على العمائر المصرية لأول مرة،للمزيد انظر مصطفى بركات،الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الأثار والوثائق والمخطوطات (1517_1924م)،د ط،دار الغريب القاهرة:2000م،ص286.

[3]للمزيد من التفاصيل: انظر السيد فرج : حروب مُحَمَّد علي ،مطبعة التوكل بالجماميز ،مكتبة عبد الحميد بدوي، الإسكندرية 1999،ص64-65 .

ضاق بها الاهالي ذرعا مما دفعهم إلى الهجرة إلى الشام فطلب مُحَمَّد علي من عبد الله باشا الجزار والي مكا إرجاعهم فرفض فرفع مُحَمَّد علي الأمر إلى الدولة العلية فأجابته أن مصر و الشام كلاهما من الولايات السلطانية و يستوي لدى السلطان ان رعاياه يقيمون في[1] أيتهما مما أغضب مُحَمَّد علي و قيل إن فرنسا هي التي حرضت مُحَمَّد علي لتوسيع مملكته و لينال الاستقلال. هذا من جانب ،و من جانب أخر لتشغل الدولة العثمانية عن التدخل في مسألة الجزائر التي احتلتها فرنسا عام 1246هـ، قيل أيضا إن الدولة كانت قد وعدت مُحَمَّد علي بولايات اليونان لكن الظروف حالت دون تنفيذ هذا الوعد وأعطته جزيرة كريت لكنه تطلع لبلاد الشام فرفض السلطان محمود الثاني، وأي كانت الأسباب فقد جيش مُحَمَّد علي الجيوش التي سارت بقيادة ابنه إبراهيم باشا بحرا في 1247هـ / 3 نوفمبر سنة 1831 م على مدينة حيفا و كانت الجيوش البرية سبقته عن طريق العريش وفتحت غزة و يافا و بيت المقدس و نابلس و انتصر الجيش المصري على الجيش العثماني بالقرب من حمص ودخل عكا في 27ذي الحجة سنة 1247هـ /27 م أي سنة 1832 م وقبض على عبد الله الجزار وسيق إلى مصر ودخل الجيش المصري حلب في 18 صفر سنة 1248هـ وتقدم نحو بورصة فعظم القلق في الإستانة وضيق من مهاجمة إبراهيم باشا لها [2]عندئذ خشيت الدولة الأوربية من احتلال مُحَمَّد علي للإستانة و سيتأثر بالخلافة الإسلامية فتدخلت روسيا و فرنسا و إنجلترا من جانب و الدولة العثمانية من جانب آخر و اتفق أن يخلي المصريون إقليم الأناضول و أن ترجع جيوشهم على ما وراء جبال طوروس و أن تعطي لمحمد علي ولاية مصر مدة حياته و يعين واليا على ولايات الشام عكا و طرابلس و حلب و دمشق و جزيرة كريت و أن يعين ابنه إبراهيم واليا على إقليم اطه ووقع السلطان محمود على هذه المعاهدة التي عرفت باسم معاهدة كوتاهية في 24 ذي الحجة 1248 هـ / 1833م غير أن هذه الشروط لم ترقى لمحمد علي ، كما أن أهل الشام ثاروا على الحكم المصري مما دفعه إلى التوجه بنفسه لإخضاعهم و نجح في ذلك . أعرب عن رغبته في أن تكون بلاد الشام و الجزيرة العربية له و لأولاده من بعده فرض السلطان و تقدمت جيوش الدولة في مواجهة جيش إبراهيم باشا و

---

[1] مصطفى بركات: المرجع السابق، ص 286

[2] نفسه،ص287

والتقى الجيشان عند بلدة نصيبين و هناك انتصر المصريون انتصارا كبيرا في 11 ربيع الثاني سنة 1255هـ/ 1839م و إزاء كل هذه الأحداث اجتمعت الدول الأوربية فيما يعرف باسم مؤتمر لندن سنة 1256هـ / 1840م لتقرير المسألة المصرية و فيه تقرر أن يلزم مُحَمَّد علي برد البلاد التي فتحها إلى الدولة العثمانية و يبقى لنفسه الجزء الجنوبي من سوريا عدا عكا ، و أن يكون لإنجلترا و النمسا الحق في أن تحاصر و تفتح موانئ سوريا بمساعدة كل من أراد من سكان سوريا خلع طاعة المصريين، و الرجوع للدولة العلية، و أن يكون لمراكب روسيا و النمسا و إنجلترا حق الدخول إلى مياه [1]البوسفور لوقاية الإستانة إذا تقدمت إليها الجيوش المصرية على أن يكون لأحد الحق في الدخول ما دامت غير مهددة ورفض مُحَمَّد على هذه الشروط و تقدم الأسطول الإنجليزي إلى بلاد الشام و ضرب موانيها ووصلت مراكب النمسا و الدولة العلية إلى بيروت في 12 سبتمبر و أطلقوا مدافعهم على المدينة و بعد عدة وقائع انهزم الجيش المصري و انسحب بعساكره من الشام في شوال 1256هـ .

أما الخديوي سعيد[2] فيكفي أن نشير إلى جملة واحدة قالها لتعبير عن مشاعره تجاه العثمانيين والدولة العثمانية يقول سعيد :(**إنني أود أن أعرف ما هي العروق و الشرايين التركية والشركسية فيَ لأفتحها فأتخلص من آخر نقطة من هذا الدم الممقوت**).[3]

و في السنة الأولى من حكم إسماعيل باشا زاره السلطان عبد العزيز في أفريل1863 م و قد سُر إسماعيل سرورًا عظيما بتلك الزيارة واعتبرها شرفا له إذ أنه بعد سليم الأول لم تطأ قدم سلطان عثماني مصر منذ وفاة مراد الرابع 1630 م فأقام الاحتفالات والولائم مما كلف خزانة الدولة الكثير وأخذ يطوف هو والسلطان وحاشيته جميع أنحاء القاهرة والإسكندرية وأنزلهم في سراي القلعة وقدم لها لخديوي وابر فيض جهاد ليكون يختا خصوصيا فقبله وسمى بالسلطانية،وفي أثناء زيارته ترأس حفل تشييع المحمل المصري على الأقطار الحجازية وفي تلك

---

[1] مصطفى بركات،المرجع السابق، ص ص287-288

[2] **الخديوي سعيد**:1854-1863م ولد في الاسكندرية سنة 1822م تولى العرش وعمره 32سنة من اهم ما قام به الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية ، اعادة تنظيم الدواوين للمزيد انظر :صلاح احمد هريدي ،دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1220هـ-1805م|1300هـ-1882م ،ج2،ط1،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر ،2000م،ص ص233 -268

[3] بركات ،نفسه، ص 289

المناسبة منح السلطان عبد العزيز لإسماعيل وسام المجيدية لكي يعرب له عن شكره لما بذله من كرم الضيافة[1] على أن الصفاء بين إسماعيل والسلطان عبد العزيز لم يدم طويلا ،فهذا أتريه قنصل فرنسا يكتب إلى وزير خارجيته في فيفري 1867 م عن وجود خلاف بين إسماعيل والسلطان وإن إسماعيل ينوي استغلال المركز الحرج الذي آلت إليه السلطنة العثمانية[2]زاد من هذا الخلاف أن إسماعيل حينما أقيمت الاحتفالات بافتتاح قناة السويس ذهب إلى أوروبا لدعوة ملوكها بنفسه لحضور تلك الاحتفالات كما أنه دعا ملك اليونان الذي كان قد أوشك على الاشتباك مع الدولة العثمانية في حرب وقم لزوجة ملك اليونان 100.000 فرنك مساعدة للمهاجرين الكريتين مظهرا عطفا كبيرا عليهم وكأنما تركيا في واد ومصر في واد أخر[3]ومن جانبه استدعى السلطان مصطفى فاضل[4]أخ الخديوي إسماعيل وعدوه اللدود من أوروبا وعينه وزيرا للداخلية العثمانية للكيد من إسماعيل[5]

كما أن السلطان أصدر فرمان في نوفمبر 1869 م قيد فيه حقوق إسماعيل[6]وقد أرسل لورد كلارندرن وزير خارجية انجلترا إلى سفير بلاده بالدولة العثمانية يحذر السلطان بان مثل ذلك العمل الجرئ سيعرض السلطان لغضب الدول وعداوتها,واخذ إسماعيل يسعى إلى تحسين علاقته بالدولة العثمانية فقصد إلى الأستانة في 1872م ومعه إسماعيل صديق وزير المالية ونوبار باشا وبذلوا هناك أموال و رشاوي وهدايا وذلك لكسب الودية بين الخديوي والسلطان العثماني والذي أصدر في سبتمبر1872م فرمانا ينسخ فيه القيود الواردة في الفرمان 1869م ثم اصدر فرمان أخر شامل ينص على توارث عرش مصر لأكبر أنجال

---

(1) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل،ج1 ،د ط،،دار الكتب المصرية ،د ت،ص ص 27-53

(2) جاك تاجر و جورج جندي : إسماعيل كما تصوره الوثائق،د ط،دار الكتب المصرية ،1947 ،ص38

(3) إلياس الأيوبي:المرجع السابق، ص 418-419

(4) **مصطفى فاضل** : 1829-1875م هو أخ الخديوي إسماعيل حاكم مصر و هو الوريث الشرعي له تولي عدة مناصب إدارية مهمة في الدولة العثمانية حتى صدور فرمان الوراثة الذي نص على انتقال الحكم من الأب إلى الابن فحرم مصطفى فاضل من حقه في حكم مصر الأمر الذي جعله يبيع أملاكه و يسافر إلى باريس و قد ظل ناقما على السلطان عبد العزيز و بالتالي انظم إلى صفوف المعارضين للحكومة العثمانية للمزيد : أنظر مُحَمَّد عصفور سلمان : " العثمانيون الجدد أفكارهم الإصلاحية و دور نامق كمال في بلورتها " مجلة ديالي . ع 49 ، 2011 م ، ص 20

(5) الأيوبي:نفسه، ص 414

(6) مصطفى بركات المرجع السابق الصفحة 289-290

الخديوي وحق عقد الاتفاقات الجمركية والمعاهدات التجارية[1].ومن المكاسب التي نالها إسماعيل أيضا من هذا الفرمان هو انه كان يسعى وراء ذلك للحصول على لقب العزيز،لكنه لم ينجح في ذلك،فرفض السلطان منحه هذا الاسم له ولغيره من حكام الولايات العثمانية،وأصبحت ولاية مصر تسمى الخديوية المصرية وأصبح مركز إسماعيل لدى السلطان يسمو على مراكز سائر الولاة وعامة وزراء السلطنة،وأصبح للخديوي سلطة واسعة في وضع الأنظمة الداخلية للبلاد وفي إصدار القوانين القضائية والإدارية والمالية وفي عقد القروض وإبرام المعاهدات التجارية مع الدول الأجنبية ،وغدت الأحكام تصدر باسم الخديوي كما صدر من حقه سك النقود تخالف الدولة العثمانية ،إلى جانب ذلك صار من حق الخديوي منح الرتب إلى الرتبة الأمير الاي للعسكريين والرتبة الثانية للملكيين،ولم يكن مرخصا للوالي قبل ذلك منح رتبة أعلى من الملازم بناء على فرمان 12فبراير1841م بقدر ما كانت هذه الامتيازات سببا لزيادة النفوذ الأجنبي في مصر عادت على الدولة العثمانية بالخسارة والضعف.[2]

العلاقة بين الدولة العثمانية ومصر في ظل الاحتلال البريطاني :

كان الخديوي يستمد سلطته من السلطان العثماني من السلطان العثماني ,والتي تحددت سلطته بمقتضى البرقيتين اللتين بعث بهما كرانفيل عام 1883م حيث كان على الخديوي ونظاره أتباع ما يقدمه المعتمد البريطاني من نصائح في كل ما يتعلق بأمور الهامة ،أي على الخديوي ونظاره أن يحكموا نظريا بينما تقوم السلطات الانجليزية بممارسة الحكم عمليا،والحقيقة بان السلطات الانجليزية اعتمدت أسلوب السيطرة الغير مباشرة على السيطرة المباشرة واتخذت من الأساليب ما يكفل لها دون الحاجة إلى ظهورها بأنها تمارس السلطة ،وذلك خشية إثارة الدول الأوروبية خاصة فرنسا التي ظلت تعارض الاحتلال البريطاني لمصر حتى عام 1904م ولكنها مع ذلك شلت يد السلطان العثماني في مصر وذلك عند محاولة انتزاع شبه جزيرة سيناء من مصر وتضييق حدودها.وخلال نشوب الحرب التي كانت بين تركيا و ايطاليا لم تسمح انجلترا لمصر بان ترسل جنود المساعدة الدولة

---

[1] مصطفى بركات ،المرجع السابق ،ص291.

[2] نفسه ،ص292.

العثمانية، أما فيما يخص الجيش فقد سرحته السلطات لانجليزية وذلك في ظل أعقاب الثورة العرابية و أعادت تنظيمه تحت إمرة ضباط انجلترا[1].

أما بالنسبة للسلطان عبد الحميد الذي عبر أن الوضع التي ألت إليه حال تركيا مع مصر في ظل الاحتلال البريطاني بقوله :على المرء أن يحذر من انجلترا لأنها من أقوى الدول الكبرى,وان انجلترا لن تغير سياستها ،وإنها تتعهد بتطبيق كل ماورد في الفرمانات التي أصدرت من قبل انجلترا,وصرح السفيردوفريه الانجليزي في استانبول بان انجلترا لن تطالب بامتيازات في مصر.

ومن هنا نستخلص بان العلاقة بين مصر والدولة العثمانية كانت في نفور وتباعد وذلك من خلال ما كانت تقوم به السلطات البريطانية والتي بسطت نفوذها في الأراضي وعملت على كسر شوكة مندوبين السامين في مصر وتمكنت من تجريد كل شيئ لتركيا من مصر .

[1] مصطفى بركات، المرجع السابق،ص293.

المبحث الأول: الحياة الثقافية في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي

المطلب الاول: الحياة الاجتماعية في الدولة العثمانية

المطلب الثاني: سلاطين القرن التاسع عشر واهم تنظيماتهم الثقافية

المطلب الثالث: الحياة الدينية في الدولة العثمانية

كانت هناك محاولات عثمانية لتجديد الدولة و ذلك بالاقتباس من الغرب ، و كانت حضارة الغرب تتسرب بشكل أو بآخر إلى الدولة العثمانية ، و لكن بشكل بطيء و من ذلك استخدام الطباعة على يد إبراهيم متفرقة في أوائل القرن الثامن عشر و حيث اقتصرت الطباعة على الكتب الغير الدينية و الشرعية ، ظهر بعد ذلك عدد من المثقفين العلمانيين من غير رجال الدين .

و تعتبر الفترة الأخيرة من القرن الثامن عشر وزوال القرن التاسع عشر فترة هزت كافة الأسس التي كان يقوم عليها المجتمع الأوربي أو الشرقي ، فالثورة الفرنسية جعلت أوروبا تواجه أفكار جديدة و اتجاهات سياسية جديدة ، و الحركة الإصلاحية التي سارت عليها الدولة العثمانية منذ سليم الثالث (1787- 1808م) كانت بداية عهد جديد من الإصلاح و التغيير لإنقاذ الدولة من الأطماع الأوربية و سياسة التقسيم التي كانت تنادي بها روسيا ، و من الضغوط الاستعمارية التي كانت من جانب بريطانيا و فرنسا ، و من جانب الدول الفارسية .

و لا شك أن الثورة الفرنسية هزت أفكار سليم الثالث و لكن فكرة الإصلاح و التغيير كانت تمليها ضرورات داخلية أقوى من تأثير الثورة الفرنسية فعلى يد سليم الثالث كثرت البعثات العثمانية إلى أوروبا ، و شجع التعليم و خاصة العسكري منه ، و تحدث عن رغبته في إلغاء نظام الالتزام و دعا إلى إنشاء (مجلس شورى) من كبار الموظفين ، و فعلا عقد مجلسا من هذا النوع ،و طلب من كبار الموظفين أن يكتبوا آرائهم فيما يجب أن يجري من إصلاحات لإنقاذ الدولة من تخلفها عن ركب الحضارة ، و خاصة من حيث إنشاء جيش جديد قادر على دفع العدوان عن الدولة العثمانية .

المطلب الأول: الحياة الاجتماعية في الدولة العثمانية:

1 | الحياة اليومية في المجتمع العثماني: (داخل السراي)

- ففي القصور كانت الحياة اليومية تجري تبعا للقاعدة العامة، أي في إطار مبادئ الدين الإسلامي، وفي إطار العادات والتقاليد الجارية في القصور نفسها.

وكان السراي العثماني مجتمعا مغلقا ذا طبيعة خاصة، يعيش فيه السلطان وعائلته مع عدد من العاملين في الخدمة الداخلية والخارجية، يتراوح بين10-15 ألف عامل، وحتى أوائل القرن العشرين لم يكن أحد يعلم شيئا عن حياة السلطان الخاصة، وعن دائرة الحريم التي يقيم فيها، وبالتالي عن الحياة اليومية هناك، ولاشك أن المعلومات التي جاء بها الرحالة الأوربيون في هذا الصدد ما هي إلا نسيج من خيالهم، لأنه لم يكن في وسع أي أجنبي كان أن يخترق دائرة الحريم قبل عام1909م.

ففي دائرة الحريم [1]تعيش السلطانة الوالدة[2] وزوجات السلطان والوصيفات والمحظيات والعاملات الأسطارات والقالفوات والجواري والخادمات ، والأمراء أبناء السلطان وبناته الأميرات فيقضي كل منهم يومه في القسم الخاص به ،أو في الغرف، حيث يتناولون طعامهم، ويؤدون عباداتهم، أو يقضون بعض الوقت في القراءة، أو بعض التسلية والمشاركة في الحفلات أو الأفراح ويجري تقسيم الجواري داخل السراي بحسب مواهبهم فهناك قسم كان يتعلم العزف على الآلات الموسيقية والغناء والقسم الآخر[3]منهم يفضل التمثيل .ففي القرن التاسع عشر دخل البيانو و القيتار و منهم يفضل التمثيل .ففي القرن التاسع عشر دخل البيانو و القيتار و الكمان ،ينما أخذت الفرقة الموسيقية العسكرية الحديثة (باندو) مكان الطاقم القديم(مهتر)[4] .

---

[1]**السلطانة الوالدة:** ويطلق عليها بالتركية "والده سلطان" وهي ام السلطان الجلس على سدة الحكم كما عرفت في المصادر التاريخية بلقب " مهد علياي سلطنت " أي مهد السلطنة العالي. للمزيد انظر: احسان اوغلي ،الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج1 ،ص155

[2] **دائرة الحريم:** تعرف باسم الحرم الهمايوني الذي يحتل مكانا في القسم الخلفي من الديوان الهمايوني ،وينقسم المقيمون في الحريم الى قسمين: احدهما يُخدم وهم السلاطين وابناءهم وزوجاتهم ،والثاني يَخدم كاقالفوات والجواري وغيرهم للمزيد انظر: نفسه ،ص ص154-155

[3] أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج 1، ص ص 589 -590

[4]وهي المدرسة العسكرية التي عرفت في عهد السلطان الفاتح بهذا الاسم،وكانت تستخدم آلات النفخ والنقر وقد كانت تستعمل في الحرب، للمزيد انظر :يلماز، اوزتزنا ،المرجع السابق،ص ص903-904

كما كان من الهوايات والمشاغل اليومية التي تشتغلن بها الجواري تعلمهن للحياكة، وكن جميعا يحرصن على الصلاة والصوم باهتمام شديد[1]. والمعروف ان عدد الجواري كان يبلغ في عهد السلطان محمود الثاني 456جارية وزاد في عهد السلطان عبد العزيز 809جارية ، وكان لكل زوجة من زوجات السلطان مكتبة في الجناح الخاص بها وكان عدد كبير منهم يعرفن الموسيقي... وكانت الزوجات تعتنين كسائر النسوة الأخريات بشعورهن على الخصوص .ويعلقن الدبابيس المرصعة بالمجوهرات بين ضفائرهن ،ويصنعن المكياج لوجوههن ويضعن الكحل في عيونهن ويضعن العقود والسلاسل والأقراط وكن يرتدين في الغالب الفساتين الحريرية المحلات بأزرار ألماس ويتمنطقن بأحزمة مشغولة بالمجوهرات ويضعن في أكتافهن شيلان من الكاشمير ،ويرتدين فوق ذلك معطفا خفيفا في الصيف ومعطفا من الفراء في الشتاء [2]، وكانت زوجات السلاطين قد أخذن بعد عهد محمود الثاني في ارتداء الفراجة والملاءة ففي عهد السلطان عبد الحميد الثاني بدأت بالتشبه بالأوربيات في ملبسهن ومعيشتهن ،كما كانت تقام في السراي في بعض الليالي حفلات موسيقية خاصة وأحيانا تنظم السهرات الغنائية التي يحضرها كل شخص، وعدا الحفلات والمراسيم التي كانت تقام داخل السراي العثماني في مناسبات الولادة والخطبة والزواج كانت هناك احتفالات

أخرى ممتعة مثل تحية أو تشريفة يوم الجمعة (جمعة سلاملغى)[3] **(أنظر الملحق رقم1)** والتهاني بعيد النوروز، والمناسبات الدينية وموكب الصرة إلى الاراضي الحجازية[4]،والاحتفالات التي تشارك فيها النساء ومع مقدم شهر رمضان المبارك يفعم

---

[1]كانت السيدة صفية اوكيوير احدى معلمات الحريم في العهد الاخير عبارة جعلتهم يكتبونها على باب الفصل :"لا تدخل الفصل من لا تؤدي صلاتها وتصوم فريضتها" .

[2] احسان اوغلي :المرجع السابق ،ج1 ص590

[3]وكانت مراسم تحية الجمعة التي يقيمها السلاطين من التقاليد الهامة في الكشف عن العلاقة بين الحاكم ورعاياه .للزيد أنظر: اوغلي ،نفسه ،ص150.

[4]**الصرة**: هي أموال عينة سنوية مرسلة سواء من الحكام او من كبار الشخصيات فيها لتوزع على الامراء او الأشراف والعلماء وباقي افراد المجتمع المكي وفيها نصيب يخص الحجاج والمعتمرين ،للمزيد من التفاصيل انظر : لمياء احمد عبد الله شافعي ،الصرة العثمانية الموجهة الى مكة المكرمة 791 -974هـ/1389-1566م ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية مكة المكرمة ،ص413

السراي بالجو الديني ، والموجودين فيه يصومون الشهر ، ويختم القرآن من يجيد التلاوة ،ويتبادلون الدعوات لتناول الإفطار، وبعد التراويح يقضون ليلهم حتى السحور في السهر والفكاهة في اجتماعاتهم،وفي الليلة النصف من رمضان يقوم الجميع بزيارة البردة النبوية الشريفة، وفي ليلة السابع والعشرين منه يجري الاحتفال بليلة القدر[1]

الحياة اليومية داخل المجتمع العثماني (خارج السراي)

أ)–البيت العثماني :

لابد أول من تذكير القارئ بتنوع البيئة البشرية و السكانية في العالم العثماني الذي امتد من بغداد إلى دمشق مرورا بإسطنبول و عينتاب .سنكتفي بإعطاء لمحة عن الحياة المنزلية في الريف و المدينة خلال القرن التاسع عشر (حوالي1822م)، و لا ندعي أن الصورة التي نقدمها تمثل الواقع في كافة البيوت قبل القرن التاسع عشر كانت البيوت العثمانية في المدن مؤلفة من جناحين :جناح مخصص للرجال ويدعى " سلا ملك "و جناح خاص بالنساء " حر ملك "[2] و يبدو أن ظاهرة الحر ملك كانت أكثر شيوعا في بيوت الأثرياء و علية القوم ، كان لأكبر أعضاء الأسرة سنا الأولوية في استخدام غرفة أل سلا ملك التي كانت في أغلب المنازل محاطة بعدد من الغرف المستقلة ، كان الرجال يجتمعون في جناح خاص بهم و كذلك النساء ، كانت أثاث البيت في جميع الأحوال تقريبا يتألف من طنافس و أرائك موزعة حول الغرفة ، و كان الناس يجلسون على الوسائد على ارض الغرفة المفروشة بالسجاد أو الحصير ، و يتناولون طعامهم و هم جالسون حول موائد مرتفعة قليلا على الأرض ، كانت بعض الغرف تستخدم عموما لعدة أغراض و من جملتها استقبال الضيوف أو كغرفة نوم في الليل ، أما المفروشات فكانت متواضعة.

---

[1] احسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،ج1، ص ص592-593

[2] دونالد ،كواترت :الدولة العثمانية 1700-1922م،تر :ايمن الارمنازي ،ط1،مكتبة العبيكان، الرياض ،المملكة العربية السعودية،2004م ،ص ص 275-277

– فمثلا كانت بين احد الأسر السورية الثرية يحتوي أصنافا من السجاد والحصير والملاحق القطنية والأواني النحاسية والخشبية ومطحنة قهوة وبعض الأواني "البورسلان" بالإضافة إلى الصحون المصنوعة من النحاس المقصدر.

شهدت العقود الأولى من القرن التاسع عشر إقبالا ملموسا على اقتناء السلع الأوروبية المنزلية بما فيها الأثاث ، ففي مدينة أزمير أخذت بيوت التجار الأثرياء تمتلئ بالسلع القادمة من باريس و لندن و من جملتها شوكات الطعام و السكاكين و الكراسي و الموائد و المواقد الإنجليزية fire placeو بنهاية القرن التاسع أصبحت الموائد (الطاولات) و الكراسي و الأسرة تنتشر في بيوت الأثرياء و الأعيان في إسطنبول و المدن الساحلية الهامة و من ثم انتقلت إلى المدن الداخلية ،[1] و قد أدى هذا التحول بطبيعة الحال إلى تخصيص غرف النوم و أخرى للطعام [2] أو الجلوس .

ب)–البيوت في القرى و الأرياف :

التي كان يسكنها الفلاحون فنجد أن البيت في أغلب الحالات كان يتكون من ثلاث غرف: واحد للنوم و الغرفتين الباقيتين للطبخ و تخزين المؤن و للمعيشة بوجه عام .و الجدير بالذكر أن بيوت الفلاحين كانت صغيرة بحيث لم يكن من الممكن أو المطلوب فصل الرجال عن النساء و قد وصف شاهد عيان مساكن القرويين القاطنين في المنطقة الساحلية حول طرابزون على البحر الأسود ، المساكن هنا صغيرة و نظيفة و خاصة إذا كان ساكنوها من المسلمين و لكنها أكبر بكثير من المساكن التي يعيش فيها الصناع في المدن ، و يتألف البيت من ثلاث حجرات : حجرة النوم و حجرة الجلوس وحجرة للطبخ ... أما الزجاج فهو غير معروف ، وسقوف هذه البيوت عبارة عن ألواح خشبية – هذا في البيوت الواقعة بالقرب من المناطق الساحلية ، اما سقوف البيوت البعيدة من الساحل فمصنوعة من الطين و غالبا تتسرب منها المياه أما الجدران فهي سيئة البناء و لا ترد الرياح أو مياه الأمطار .

---

[1] دونالد كواترت ،المرجع السابق،ص275-277.

[2] يلماز، اوزتونا، المرجع السابق ،ص 581

يعتمد الفلاح في غذائه على الخضار بالدرجة الأولى و غالبا ما تكون هذه الخضار من نتاج حقله – أما الخبز فهو نوعين : خبز الذرة ، و هذا الشائع في المناطق المقامة للساحل ، و خبز الشعير المخلوط بالجاودر و هو الشائع في [1] المقاطعات الداخلية ، ويشكل الخبز 95 بالمئة من قوتهم اليومي ، و لا بأس به كغذاء صحي و نافع ، أضف إلى ذلك البيض و الأحيان و الألبان ، أما اللحم أو السمك المجفف فيعتبر من الكماليات الثمينة و الماء و هو مشروبهم الوحيد [2]

ج)–الحياة خارج المنزل:

كان للتحولات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية انعكاساتها على حياة السكان خاصة أبناء المدن ، إلا أننا سنكتفي بتسليط الضوء على العاصمة حصرا ، و ذلك لأن إسطنبول و المدن الساحلية العامة كانت عرضة لهذه التحولات قبل معظم الأماكن الأخرى في الإمبراطورية من حيث التغيير الذي طرأ على الاقتصادية في المدن لنلقي نظرة إلى المحلات و الأماكن العامة التي كان يعيشها سكان إسطنبول و لعل أشهر منتزهين أو منتزعين كان الموقعين المعرفين ب " مياه أوروبا العذبة " على الجانب الأخر للبوسفور هنا كان عليه القوم و أثريائهم يلتفون لقضاء ساعات ممتعة أما الطبقات الفقيرة و الأقل حظا أو التي لا تملك عربة أو قاربا ، فكان أفرادها يأتون سيرا على الأقدام من وسط المدينة للترفيه عن أنفسهم ، و مثل هذه الأماكن كانت تشهد ازدحاما يومي الجمعة و الأحد ،ولكن هذه المنتزهات التقليدية أخذت تفقد شعبيتها خلال القرن التاسع عشر و حل محلها أماكن أخرى في ضاحية بيرا إحدى ضواحي إسطنبول التي كان معظم سكانها من الأوربيين و النصارى العثمانيين و يبدوا أن هذه الأحياء كانت تستقطب المعجبين بالأزياء و العادات الأوربية و خاصة النصارى الذين أصبحوا يميلون إلى ارتداء الملابس الأوربية و كانوا روادا في هذا المجال و قد بقي موظفو الدولة يرتدون المعاطف السوداء و يعتمدون الطربوش ، و على حين أخذ البعض يميل إلى ارتداء أخر الأزياء البارسية و أفخرها و في مقدمة هؤلاء الفئات غير المسلمة.

---

[1] كواترت : نفسه .ص ص 277–278

[2] اوزتونا ،نفسه،ص582.

و مما يستدعي الانتباه إليه أن الفئات غير المسلمة في المجتمع المدني العثماني كانت أيضا رائدة في الميدان الاقتصادي لكن نفوذها الاقتصادي لم يواكبه نفوذ سياسي مماثل ، و قد أدى هذا التناقض إلى بعض التوتر الذي حاولت الدولة معالجته عن طريق الأنظمة و القوانين الإصلاحية التي شرعتها في سنتي 1839و1856 م [1].

3 | –لمحات عن الحياة الاجتماعية :

كان البيت في المجتمع العثماني هو المكان الأمن لتجربة كل ما هو مبتكر أو جديد .

وكانت النساء يخترن ما يناسبهن من الثياب و الأزياء اللائقة بعد تجربتها في المنزل أولا و قبل ارتدائها خارج المنزل. و ليس هذا بالأمر المستغرب و لكنه لم يكن قاعدة عامة في بلاد الشرق ، ففي اليابان في القرن التاسع تحديدا كان اليابانيون يرتدون الملابس الغربية خارج المنزل أما داخل المنزل كانوا يرتدون ملابسهم الاعتيادية التقليدية .

كانت النساء العثمانيات في أوائل القرن التاسع عشر يرتدين سراويل فضفاضة (شالوار) و ثياب (أوتنانير) مؤلفة من ثلاث طبقات .لكن نساء المجتمع الراقي بدأنا شيئا فشيئا بارتداء أزياء حديثة داخل البيت و عند خروجهن من المنزل كن يرتدين فوق ملابسهن ملاءة تغطي الجسم بأكمله ومع مرور الزمن تحولت الملاءة إلى ما يشبه المعطف الذي ترتديه المرأة الأوربية، على حين أصبح الحجاب أكثر شفافية أكثر من ذي قبل.

و كانت العادات و التقاليد الشائعة تقتضي بعدم اختلاط الرجال و النساء على الصعيد الاجتماعي، لكن علية القوم لن تتقيد دائما بهذه القاعدة، ففي القرن التاسع العشر بدأ الأزواج يتبادلون الزيارات بصحبة زوجاتهم. و قد لوحظت هذه الظاهرة في استانبول و المدن الساحلية في بادئ الأمر قبل أن تنتقل إلى أماكن أخرى ، و هذه من الأمور التي لم تكن معهودة في السابق حين كانت النساء لا يجالسن الرجال ، و يعزي بعض الباحثين إقبال بعض النساء على ارتداء الأزياء الأوربية إلى رغبتهن في اقتباس بعض معالم المدنية الغربية [2].

---

[1] دونالد كواترت، المرجع السابق،ص283.

[2] نفسه، ص272.

لكننا نجد صعوبة في تقبل هذا الرأي، فعلى سبيل ،كيف نفسر شيوع المنسوجات الهندية في مطلع القرن التاسع عشر .و الحقيقة أن إقبال بعض على ارتداء الأزياء الأوربية لم يكن سوى انعكاسا برغبة هؤلاء في نبذ كل ما هو قديم و الظهور بمظهر عصري يبرز انتماءهن الطبقي[1].

4 | –جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية:

لم تكن المطاعم شيئا مألوفا إلا في أواخر القرن التاسع عشر. لكن الرجال والنساء كانوا دوما يذهبون إلى الأسواق التي كانت من الأماكن العامة التي يلتقي فيها أفراد المجتمع، وخاصة النساء اللواتي كن يشترين حاجاتهن من التجار ويبيعونهن ما يمكنهن بيعه وكثيرا ما كان الناس يجتمعون أيضا في الساحات القريبة من المساجد والكنائس للتحادث أو لإبرام الصفقات وأحيانا لمجرد اللهو [2].

وهنا تجدر الإشارة إلى دور القصاصين الشعبيين في الحياة الاجتماعية لكن أشكال أخرى من الأنشطة الاجتماعية بدأت تظهر في غضون القرن التاسع عشر في أوربا الغربية. وتشير المصادر إلى قدوم فرق من الممثلين والمغنين الأوربيين إلى اسطنبول بين سنتي 1830 و1840م وفي سنة 1840م وصلت إلى اسطنبول فرقة مسرحية متنقلة وقامت بعروض مسرحية في عدة أماكن. وبعد مضي بضعة عقود حل العثمانيون محل الممثلين الأجانب وظهرت بعض الشركات المسرحية المحلية هنا وهناك. وفي سنة 1897م ظهرت في اسطنبول أول سينما صامتة أي بعد سنتين من اختراعها في فرنسا من قبل الأخويين لوميير[3]

5)–الميدان الرياضي:

فقد كانت المصارعة من الرياضات المحببة إلى قلوب الجماهير خاصة في المقاطعات البلغارية. على حين كانت رياضة الرمي بالقوس و النشاب والصيد بالبزاة (الصقور) من الرياضات المفضلة لدى وجوه المجتمع وأعيانه.

---

[1] دونالد كواترت،المرجع السابق، ص274

[2] نفسه ،ص285.

[3] نفسه، ص:286.

وفي أواخر القرن التاسع عشر شهدت اسطنبول وبعض المدن مثل سالونيك بروز ألعاب رياضية لم تكن مألوفة من قبل، ومن جملتها كرة القدم وكرة المضرب (التنس) وركوب الدراجات [1]

6 | –الفنون والعمارة:

ألغى محمود الثاني في1831ممنصب رئاسة المهندسين المعماريين ونظارة القلاع ووحدها تحت اسم مديرية الأبنية الخاصة .وشكلها في نهاية1836م باسم (مجلس أمور نافعة) مجلس الأعمار ،وأخيرا أسس نظارة التجارة والأعمار 1839م ، إن أخر رئيس مهندسين للسلطان (خاصة عماري) (1825-1831م) هو عبد الحليم أفندي الذي أصبح أول مدير للأبنية الخاصة .أن مهندسي الخاصة كانوا يتخرجون في مدرسة الهندسة العمارية للحدائق الخاصة (السلطانية) وقد أغلق محمود الثاني مدرسة السراي هذه وحول العمل إلى المهندسين العسكريين .[2]

لقد تدهورت القوة السياسية والاقتصادية للإمبراطورية نتيجة لحروبها مع الدول الأخرى والصراع الداخلي الذي عاشته ،وكان من الأهمية بمكان أن يتولى الحكم في عهدها الأخير سلاطين من رعاة الفنون ،عملا بشجاعة على دعم الفنون الجميلة ،وسعى كلاهما لدفع المجتمع العثماني وثقافته إلى المستوى الذي يضارع الأوربيين إلا وهما السلطان عبد المجيد والسلطان عبد الحميد الثاني .وكانت رعايتهما للفنون هي الأرضية التي هيأت للمناخ الفني في عهد الجمهورية .

وكانت العمارة في تلك السنوات تشبه نظيرتها في دول أوروبا المختلفة من حيث الشكل والأسلوب فهناك القصور والفيلات ومحلات العمل والعمارات ،وأشهر مثال على ذلك هو سراي طولمهبغجه الذي أقيم للسلطان عبد المجيد عام1853م وكان السلطان قد أقام قبل ذلك جوسق مجيدية على الطراز الأوربي في الفناء الرابع داخل سراي طوب قابي ،ولكن يبدو انه وجد سراي طوب قابي غير كاف للاحتفالات وتلبية الاحتياجات الحياتية المتغيرة ،فاصدر

---

[1] دونالد كواترت، ص:287

[2] يلماز اوزتونا ،المصدر السابق، ص540

أوامره لإقامة مقر جديد على الشاطئ الأوربي للبوسفور.[1]أما من الناحية الجمالية أسست في 1881م أكاديمية الفنون الجميلة التي كانت تسمى صنائع نفيسة مكتبي وأصبح الرسام عثمان حمدي بك أول مدير لها ،أما نشوء الرسامين الأتراك فيبدأ مع حماية السلطان عبد العزيز الذي سمح بصناعة تمثال[2] لأول مرة .

7)–المقاهي والحمامات العامة:

كانت المقاهي مكانا لا يذهب إليه إلا الرجال حصرا ، وقد ظهرت المقاهي للمرة الأولى في اسطنبول سنة 1555م.

والحقيقة أن المقاهي العامة منذ نشأتها وحتى القرن التاسع عشر كانت بمثابة النوادي الاجتماعية التي يلتقي فيها الرجال. (ولعلها فقدت هذا المركز في الشرق الأوسط منذ دخل التلفزيون البيوت). كانت تنتشر المقاهي في جميع أنحاء البلاد، ففي أوائل القرن التاسع بلغ عدد المقاهي في اسطنبول خمس عدد المحلات التجارية في المدينة ولا شك أن تزايد عدد المحلات العامة الخاصة بالرجال يرتبط بالتجول الجذري الذي طرأ على الأسواق الاستهلاكية بدءا من القرن السابع عشر.

كان الرجال يذهبون إلى هذه المقاهي لاحتساء القهوة والتدخين وسماع الموسيقى ولعب النرد (لعبة الطاولة) والاستماع إلى القصص (الحكواتي) القصاص الشعبي[4][3]

الحمامات:

كانت الحمامات العامة من الأماكن الأخرى التي كانت مراكز يلتقي فيها الرجال بالرجال والنساء بالنساء. ويجدر الإشارة إلى أن معظم البيوت لم تكن مجهزة بتمديدات لتوصيل المياه

---

(1) احسان اوغلي :الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج2،المرجع السابق ،ص731

(2) للمزيد من التفاصيل انظر :اوزتونا ،نفسه،ص546-547

(3) دونالد كواترت، المرجع السابق، ص 284

(4) نفسه، ص285

إلى داخل البيوت لذلك كان أغلب الناس يعتمدون على الحمامات العامة للاغتسال. ومن المعروف أن الإسلام يشدد أهمية النظافة (نظافة البدن).

كانت الحمامات تشتمل على جناح خاص للنساء وآخر للرجال. أما الحمامات الصغيرة فكانت تستقبل الذكور حصرا في أيام محددة. على حين كانت هناك أيام معينة في الأسبوع للنساء فقط. والحق أن الحمامات العامة كانت من الأماكن العامة لاجتماع النساء. وهنا كانت النساء تجتمعن لتبادل الأحاديث والسير و"ترتيب الزيجات"[1] (ترتيب الزواج)

المطلب الأول: سلاطين القرن التاسع عشر واهم تنظيماتهم الثقافية

أ| – السلطان محمود الثاني(1808–1839م):

تولى الحكم بعد مقتل ،مصطفى الرابع ،الذي سبق له أن اطلع من السلطان سليم الثالث على خطط الإصلاح ، غير أن عهده كان مليئا بالمشكلات الدولية مثل حروب نابليون و الحركة الوهابية و الثورة اليونانية ، و توسعات مُحَمَّد علي باشا في بلاد الشام ، و حركات التمرد الداخلية، و بالرغم من هذه المشكلات التي واجهت السلطان محمود الثاني ، غير أنه استطاع فيما بعد مواجهة الانكشارية و القضاء عليهم عام 1826م في العاصمة و الأقاليم، على غرار ما فعل مُحَمَّد علي بالمماليك في مذبحة القلعة 1811م و قد عرفت تلك المعركة التي قضى فيها محمود الثاني على الانكشارية باسم " الوقعة الخيرية "

من إصلاحاته :

أنشأ السلطان محمود الثاني مدرسة لتعليم الطب و مدرسة لتعليم الهندسة العسكرية الحربية(**انظر الملحق رقم 2**) البحرية ، و أنشأ مدرسة للترجمة بعد أن كانت الدولة تعتمد في مراسلتها على الموظفين المسحيين العاملين في السفارات الأجنبية .

و كانت الدولة قد اهتمت في هذه الفترة باللغة الفرنسية أكثر من سواها من اللغات ، و أنشا جريدة رسمية (هي تقويم وقائع) .[2]

---

[1] دونالد كواترت، المرجع السابق، ص 285

[2] حسان الحلاق:تاريخ الشعوب الاسلامية الحديث والمعاصر ،ط1،دار النهضة العربية بيروت،2000م ،ص37-39-38

و كان محمود الثاني من المتأثرين بالحضارة الأوربية و مظاهرها. فأمر الموظفين الأتراك بارتداء البنطلونات عوضا عن الزي التركي و فوقها البزاة الطويلة الإسلامبولية و الطربوش الذي حل محل العمامة (**أنظر الملحق رقم 3**).و قد جرى إدخال الطربوش إلى الدولة العثمانية عام 1828م على يد القبطان باشا خسرو مُحَمَّد باشا ، و في عام 1829م أصبح لبسه إجباريا لكافة الموظفين[1]

و لم يعد يسمح بلبس العمائم و الملابس التقليدية إلا لرجال العلم و الموظفين الدينيين ، ولم يستطع السلطان فرض هذا الزي إلا على رجال البلاط والحكومة فحسب [2].

و على غرار مُحَمَّد علي والي مصر أرسل السلطان محمود الثاني بعثات علمية إلى الخارج لتلقي العلوم العسكرية ثم أنشا مدرستين عاليتين لتعليم القواعد اللغوية و التاريخ و الرياضيات ، و أنشا مدرسة أخرى لتعليم القوانين و الأدب و اللغتين العربية و الفرنسية و الجغرافيا و التاريخ و العلوم السياسية و الرياضيات كما أنشا السلطان مدرسة المعرفة (مكتبي عرفانية) في الباب العالي لتعليم الموظفين الأساليب الحديثة لترقيتهم .[3]

و لقد قام محمود الثاني بمعاقبة كل من سعى ضد الإصلاحات ، سواء من لم يطبقها بشكل جيد أو الذي لم يعرها أهمية ، إلى جانب ذلك افهم كل من لم يبدل أفكارها فلن يكون له نصيب في توظيفه بالدولة ، و عدم تطبيق الإصلاحات معناه انتهاء الدولة و أنشأ جيل له إلمام كبير بالغات و الثقافات الشرقية (العربية و الفارسية) و يجيد الفرنسية كذلك ليتمكن من إطلاع على الثقافة الغربية من الداخل ، و هؤلاء هم الذين احتلوا مناصب الدولة خلال سنوات التنظيمات . [4]

ب | –السلطان عبد العزيز(1861–1876 م):

([1]) اسماعيل احمد ياغي :المرجع السابق، ص150

[2]نفسه، ص150.

([3]) حسان، الحلاق: المرجع السابق، ص37

([4]) يلماز، أوزتونا ،المرجع السابق، ص22.

واصل السلطان عبد العزيز بن محمود المسير في طريق الإصلاحات التي سلكها والده وأخوه عبد المجيد فحافظ على رجال الإصلاح وأبقاهم في مناصبهم الحكومية وظل يعمل على رعايتهم في سبيل دعم حركة الإصلاح ؛واعتنى عبد العزيز بمسائل إصلاحية مهمة كما هو الحال بالنسبة للتعليم وشؤونه فأوجد نظاما تعليميا علمانيا يتألف من المدارس الابتدائية والثانوية وهي مدارس كانت مفتوحة لكل التلاميذ على اختلاف دياناتهم ،[1]

فأسس مدرسة ثانوية ذات شأن عرفت باسم فكتور دوروي وعدت تلك المدرسة من حيث برامجها التعليمية والإدارة أعلى وأرقى مما كانت عليه برامج التعليم في المدارس الثانوية الأخرى ليس لكونها فرنسية التنظيم والإدارة ،وإنما لأنها مدرسة حديثة تعني طلاب يتقنون اللغة الفرنسية لان جميع مواد الدراسة في المدرسة كانت تدرس كلها بالفرنسية ،وهو أمر تحتاجه الدولة العثمانية خاصة في الوظائف الخارجية وعلى رأسها السلك الدبلوماسي وقد وجدت المدرسة العناية ليس من قبل المسؤولين فحسب أيضا من قبل السكان .فقد أقبل أبناءهم على الدراسة في تلك المدرسة بشكل واسع من المسلمين والنصارى ويهود حتى بلغ عددهم سنة1869م600طالبمن مختلف الديانات والأجناس والطوائف ،وأنشأ دار الفنون ولقد وقف السلطان عبد العزيز في اختيار وزيره الأول علي باشا الذي قام بجهد متواصل في سبيل إصلاح الدولة العثمانية في مجال التعليم والإدارة.[2]كذلك يجب أن نشير إلى شيء هام وهي مجلة الأحكام العدلية (مجلة الأحكام الشرعية) في سنة 1869م [3] وقد أدت التطورات المحلية إلى صراعات بين الأتراك أنفسهم حول الإصلاحات ،وحول ما يجب أن يؤخذ ويترك من الغرب الأوربي غير أن حكم السلطان عبد العزيز وإفلاس الخزينة عام1875م،وأراء ابو الدستور مدحت باشا ،والثورات المحلية في البوسنة والهرسك وبلغاريا

---

[1] ياغي ،المرجع السابق، ص172.

[2] عبد الفتاح حسن ابو علية: الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير ،دط، دار المريخ للنشر ، الرياض ،المملكة العربية السعودية 2008م،ص339.

[3] للمزيد من التفاصيل انظر: مُحَمَّد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ،تح إحسان حقي، ط1،دار النفائس،1401بيروت:هـ/1981م،ص ص546الى 600.

،وفرض الضرائب الاعتباطية ،كل ذلك مهد لإسقاط السلطان عبد العزيز في انقلاب أيده شيخ الإسلام في1876م [1].

ويجب الإشارة إلى الحركة القومية التي ظهرت في عهده والتي طالبت بالإصلاح الدستوري ،والتي ارتبطت بحركة تركيا الفتاة (تركيا الحرة أو الليبيرالية)ففي1865م قامت مجموعة صغيرة من العناصر الوطنية التركية ذوي الميول الليبيرالية والتي كان يبلغ عددها ستة من أبرزهم نامق كمال ومصطفى فاضل من أسرة مُحَمَّد علي وشقيق الخديوي إسماعيل ،كما أنها نمت بسرعة ،والتي كان هدفها إيجاد قوة من العناصر الوطنية التي تتولى الإصلاح بحيث لا يترك الإصلاح في أيدي السلاطين فقيام حركة تركيا الفتاة كان يشير إلى إحساس الطبقة المثقفة التركية بقوتها الذاتية وحاجتها إلى التعبير عن نفسها[2].

وقد نشط أعضاء الحركة في النقد لبرامج الإصلاح من خلال كتاباتهم الأدبية ،فظهرت في كتابات الأتراك تعبيرات جديدة على الفكر العثماني مثل: الحرية الفردية و الوطن والدستور والبرلمان وغيرها ولما تحول دعاة الأفكار الجديدة من النقد إلى الثورة ،ونظرا لسياسة السلطان عبد العزيز[3]فقد هربوا إلى الخارج باريس ولندن وبالتالي تحولت الحركة القومية التركية من مجال الأدب إلى مجال السياسة.

ج| – السلطان عبد الحميد الثاني :1293–1326هـ(1876–1909م)

تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم بعد خلع السلطان مراد الخامس و بقي 33 سنة متواصلة وكان عبد الحميد من السلاطين الأقوياء و النشطاء لكنه تولى حكم البلاد و الدولة العثمانية تحت وطأة الديون ، و ضغوط الدول الأوربية و أطماعها في الأراضي العثمانية خاصة أطماع روسيا القيصرية [4]و خلال اعتلاله العرش كانت الخزينة العثمانية تعاني من

---

[1]اسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق،ص174 .

[2] نفسه ،ص174

[3] نفسه:ص175

[4] عبد الفتاح حسن ابو علية: المرجع السابق،ص353

أزمة مالية فائقة ، مما اضطر به إلى اللجوء إلى الديون الداخلية [1]، و يعد من السلاطين المثقفين ، فقد تعلم إلى جانب اللغة التركية اللغتين العربية و الفارسية و درس الكثير من الكتب الأدبية و الثقافية .

و قد شهد عهده مجموعة من الإصلاحات في مختلف مرافق الدولة فقد أنشأ الكثير من المدارس و الكليات العلمية المهمة مثل : كلية الآداب و كلية العلوم و كلية الحقوق و كلية العلوم السياسية و كلية الفنون و كلية التجارة و مدرسة الفنون النسوية و مدارس الصم البكم ، كما أنه أمر بإرسال البعثات الدراسية إلى بلاد أوروبا ، و مما يدل على مدى انفتاح السلطان عبد الحميد الثاني على الحضارة و ذلك من خلال إنشاءه لغرفة الصناعة و الزراعة و التجارة ، و بناءا عليه فإن عهد السلطان عبد الحميد الثاني شهد تطورا علميا و ثقافيا مركزا على الجانب الإسلامي و الجوانب العلمية البحتة[2]. وقد ظل هذا كله خاضع لرقابة العامة وقوانينها التي تحدد حرية الفكر فانشأ وزارة المعارف[3] وقد قاوم الكتاب والمفكرين هذا الأسلوب وعارضوه فانتشرت كتاباتهم وانتشر معهم فكرهم على الرغم من صرامة المراقبة العامة على الصحف والكتب والمطبوعات

غيرها .ولقد انشأ عبد الحميد الثاني عدد من المتاحف والمكتبات العامة والمستشفيات ودور العجزة [4] .

1 | – التعليم في الدولة العثمانية:

المدارس العثمانية:

أ) –مدرسة الصبيان:

---

[1] فاضل، بيات :دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ،ط1، دار المدار الاسلامي ،بنغازي ,ليبيا،،2003م، ص447

[2] عبد الفتاح حسن ابو علية : المرجع السابق،ص355

[3] اسماعيل احمد ياغي: المرجع السابق،ص188

[4] فاضل بيات : المرجع السابق، ص448

سميت المدارس التي أقيمت في مختلف أرجاء الدولة العثمانية لتعليم المبادئ الأولية للأطفال بمدارس الصبيان(صبيان مكتبرلي) ويقابل قسم منها الكتاتيب وكانت هذه المدارس تقام في الغالب في محل ملاصق للجوامع أو تخصص إحدى الغرف الملحقة بها لهذه المدارس وهذه المدارس كانت تختص بتعليم القران الكريم والصلاة وتهتم قليلا بالكتابة . ولم تهتم بها وزارة المعارف لأنها كانت تتبع وزارة الأوقاف [1]. وعندما بدأت الدولة العثمانية في إصلاح التعليم بدأت بالمدارس الرشدية ولم تولي مدارس الصبيان بعين الاعتبار، وبالتالي لم تمتد إليها الإصلاحات إلا في سنة1871م من طرف وزارة المعارف[2]، وانقسمت هذه المدارس الأربعة صفوف وعينت الدروس التي كانت تدرس فيها وهي الألفباء والقران الكريم والتجويد والخط والحساب والتاريخ العثماني والجغرافية والمعلومات المفيدة . وتبعت الأساليب الحديثة في التعليم وتقرر أن يقبل خرجوها في المدارس الرشدية . وتركت اسمها القديم ليصبح اسمها المدارس الابتدائية (مكاتب ابتدائية)[3].

وفيما يخص معلميها فقد أنشأت الدولة العثمانية دار المعلمين في مركز الدولة في البداية ثم في بعض الولايات ، إلا أن هذه الدور لم تنتشر في جميع الولايات ، كما أن الموجودة منها لم تكن قادرة على تخريج عدد كاف من المعلمين لجميع المدارس وبالتالي استعانت بأئمة الجوامع في القرى للتعليم بعد إدخالهم في المدارس الرشدية وإعدادهم هناك[4].

ب)–المدارس الرشدية:

وهي المدارس التي تقابل المدارس المتوسطة الحالية ، وأول مدرسة تحمل اسم الرشدية أ قيمت في استانبول في سنة1838.غير أن الآراء اختلفت حول تاريخ تأسيسها إلا أنها لم تظهر إلى

---

[1]) فاضل بيات، المرجع السابق، ص381.

[2] طبقا لما ورد في اللائحة التنظيمية لعام1869م وصاحبت ذلك محاولة لإقامة مدارس جديدة تحت اسم ابتدائية ،ليس في استانبول وحدها ولكن في كافة اراضي الدولة العثمانية

[3])فاضل، بيات : نفسه ،ص 381-382-383

[4] لمزيد من التفاصيل انظر: اكمل الدين احسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج2 ،المرجع السابق،ص534-535.

حيز الوجود إلا سنة1845[1]م وبدأت بتخريج الطلبة اعتبارا من سنة1847 م وكان خريجوها ينخرطون في السلك الإداري للدولة ،وكانت مخصصة للذكور فقط ، ولم تفتح مدرسة رشدية للبنات إلا سنة1858 م.وكانت هذه المدارس تدار من قبل معلم أول و ينوب عنه معلم ثان، وقد اشترط من المقبولين بها أن يكونوا حاملين لشهادة الدراسة الابتدائية ،وبطبيعة الحال كان تأسيسها مقتصرا على العاصمة في بداية الأمر ، غير أنه لم يمض وقت طويل حتى انتشرت في الولايات العثمانية وقد ألزم نظام المعارف الذي صدر في1869 م إقامة مدرسة رشدية في الأماكن التي يتجاوز عدددورها500 ،كما حدد مدة الدراسة فيها بأربع سنين وان تكون خاصة بالمسلمين[2].

ج)–المدارس الإعدادية:

اقر نظام وزارة المعارف الصادر سنة1868متأسيس مدرسة إعدادية في المدن التي يبلغ عدد دورها ألف يقبل فيها الطلاب المسلمون وغير المسلمين على حد سواء . إلا أن أول مدرسة إعدادية لم تؤسس في استانبول إلا بعد ست سنوات من صدور هذا النظام أي في سنة1875 م، ثم انتشرت في مراكز الولايات، غير أن هذه المدارس لم تلقى الإقبال والتشجيع من قبل الدولة ولا من قبل الأهالي، وذلك لأنها كانت تحمل الدولة أعباء مالية في الوقت الذي كانت فيه الخزينة العثمانية تعاني من أزمة مالية حادة بسبب الحرب الروسية ، ولهذا لم تفكر الدولة بتأسيسها في الولايات في بادئ الأمر ، أما سبب عدم رغبت الأهالي الانخراط في هذه المدارس فإنهم كانوا يرون أن تعليمهم في المدارس الرشدية كاف لكسب معيشتهم وتعيينهم في الدوائر الحكومية .غير أن الدولة العثمانية قامت بفتح مدرسة إعدادية في مراكز الولايات وبعض الولايات[3] وكانت تلك المدارس تتكون من نوعين: النوع الأول كان يتكون من سبعة صفوف الثلاثة الأولى منها رشدية و الصفوف التالية إعدادية و هذا

---

[1] فاضل بيات:المرجع السابق، ص387

[2] يتولى التخطيط لبنائها " دائرة مجلس المعارف الكبير" ويتكفل بنفقات البناء "صندوق المعارف الكبير" في تلك الولاية ويجري تعلين معلم او اثنين، ويساعده في التدريس آخر يعرف باسم(مبصر) وثالث (فراش).

[3] غير ان هذه الفكرة لم تلقى قبولا من الحكومة ، اذ اجتمع مجلس شورى الدولة (شوارى دولت) واكدت على أهمية تلك المدارس في عبارة جاء فيها "ان الحاجة الى الطلاب في المؤسسات التعليمية العالية كالمدارس السلطانية ودار المعلمين ودار الفنون يجري سدها بواسطة خريجي المدارس الاعدادية" احسان اوغلي: المرجع السابق ،ص549

النوع كان خاصا بالعاصمة و بعض الولايات أما النوع الثاني فكان ذا خمسة صفوف ، الصفوف الثلاثة الأولى منها رشدية و قد أقيم هذا النوع من المدارس في الكثير من الولايات [1] و اشترطت التعليمات التي أصدرتها وزارة المعارف أن يكون الطالب الراغب في الدخول إلى الصف الأولى من المدرسة الإعدادية حائزا على الشهادة الابتدائية ، أما الحاصلون عن على شهادة المدارس الرشدية أو القسم الرشدي من المدارس الإعدادية فيقبلون في الصف الرابع ، و أصبحت معظم هذه المدارس داخلية أي الحق بها قسم داخلي لإسكان الطلاب الوافدين من خارج مركز الولاية و أصبحت تسمى بالمدرسة الإعدادية المسائية (ليلي إعدادي مكتبي) ، إلا أن الدراسة فيها بقيت صباحية و قد فرضت أجور على الطلاب المتمكنين ماديا ، أما أبناء الفقراء فقد تقرر قبولهم مجانا في المدرسة و القسم الداخلي.

أما المواد الدراسية التي كانت تدرس في المدارس الإعدادية فهي نفس مواد المدارس الرشدية في الصفوف الثلاث الأولى ، أما في الصفين الرابع و الخامس فكانت تدرس مواد القران الكريم و العلوم الدينية و اللغتين العربية و التركية و الأخلاق و الفرنسية و الحساب و الهندسة و الجغرافيا و التاريخ و علم الأشياء (العلوم العامة) و الخط و الرسم ، كما كانت تدرس مادة حفظ الصحة في الصف الرابع و أصول الدفاتر الحسابية و الجبر و المثلثات في الصف الخامس فقط [2]

المدارس العالية و المهنية:

المدارس العالية والمهنية:

أ)دار المعلمين :

بعد أن تنوعت المدارس و توسعت في الدولة العثمانية أصبحت هناك حاجة ماسة إلى مدرسة لإعداد معلمين لتلك المدارس [3] ، و لهذا أقيمت أول دار للمعلمين في إسطنبول

---

[1] فاضل، بيات: المرجع السابق، ص392

[2] نفسه،ص393.

[3] اقيمت في عام1846م نظارة المدارس العمومية (مكاتب عمومية نظارتي) فتناولت مسألة اصلاح المدارس القائمة وتخريج المعلمين للعمل فيها

بتاريخ 1848م [1]و في بداية الأمر اقتصر القبول فيها على طلاب المدارس الدينية إذ كان هؤلاء يتلقون دروسهم فيها إلى جانب دروسهم في الجوامع ، كانت الحكومة تشجعهم على ذلك و لهذا خصصت لهم رواتب و لم تكن دار المعلمين في بداية إقامتها تختلف كثيرا عن المدارس الدينية ، و كان تعليم اللغة العربية يشكل الأساس فيها [2] غير أن مناهجها لم تكن كافية لإعداد معلمين كفوئين لكل المراحل الدراسية بل كانت تعد معلمين للتدريس في مدارس الصبيان فقررت وزارة المعارف تطويرها سنة 1890 م .

فحولت قسم الصبيان إلى ابتدائي ، كما فتحت قسمي الرشدي و العالي لإعداد معلمين للمدارس الرشدية و الإعدادية .

لم تفكر الدولة العثمانية في إقامة دور المعلمين خارج المركز أي في الولايات إلا بعد انتشار المدارس الابتدائية و الرشدية فيها ، فرات أن المعلمين في هذه المدارس غير جديرين بالتدريس لعدم كفاءتهم فصدر الأمر السلطاني بإقامة دور المعلمين في بعض الولايات و كانت هذه الدور متكونة من واحد و هو قسم الصبيان و يستدل مما ورد في النظام الداخلي لدار المعلمين إنما أقيمت من اجل إعداد معلمين أكفاء لمدارس الصبيان ثم الابتدائية في مراكز المدن و القرى ، و أن هذه الدراسة فيما سنتان و قد أورد النظام الداخلي لدار المعلمين المقامة في استانبول شروط قبول الطالب فيها وهي : أن ينجح في امتحان الصرف و النحو و القراءة التركية و الخط و الإملاء و أن يكمل العشرين من عمره و أكد نظام دار المعلمين الخاصة بالولايات على إجادة المقبول للغة التركية إجادة تامة ، كما ألزم هذا النظام القائمين بالتعليم في مدارس الصبيان الكائنة في المدن و القرى الالتحاق بدور المعلمين بالتناوب ، و بتنصيب من مجالس إدارة الولايات لمدة زمنية تكفي لإعداد هملا كمعلمين أكفاء في مدارسهم [3]أما المواد الدراسية التي كانت مقررة في دور المعلمين الابتدائية بصورة عامة فهي : القرآن الكريم و العربية و الفارسية و الحساب و العلوم و الجغرافية و التاريخ الإسلام و الخط و هذه المواد تدرس في الصفين الأول و الثاني و تدرس في الصف الثاني إلى جانب

---

[1] فكانت اولى المدارس التي ظهرت في الدولة العثمانية لتخريج المدرسين على النظام الحديث وليس على النظام التقليدي الذي كان سائدا

[2] فاضل بيات، المرجع السابق، ص ص393 -394

[3] نفسه ،ص394.

هذه المواد : أصول التدريس و الإنشاء و اللغة الفرنسية أما اللغة التركية فكانت تدرس في الصف الأول فقط .[1]

ب)_ مدرسة الصنائع :

يعود الفضل في تأسيس مدرسة الصنائع في الدولة العثمانية إلى مدحت باشا الذي أسس أول مدرسة منى نوعها في نيش سنة 1860 م[2] عندما كان واليا على طونة ، و كانت الغاية من تأسيسه لهذه المدرسة هي جمع الأطفال المشردين و اليتامى و تعليمهم و تربيتهم ، و عندما عاد إلى إستنبول و أصبح في مجلس الشورى أسس أروع نموذج لهذه المدارس فيها و ذلك في سنة 1868 م .

ج)_ مدرسة الحقوق:

تأسست أول مدرسة للحقوق في الدولة العثمانية في إسطنبول سنة 1878 م ، و بعد انتشار المدارس الإعدادية في الولايات العثمانية و توسعها ، و عدم تمكن مدرسة إستنبول من قبول جميع الطلبة الوافدين من الولايات لم يبقى ما يمنع إعادة النظر في تأسيسها في الولايات فصدر الأمر السلطاني بإقامتها ، و تكون بنفس النظام المتبع في إسطنبول ، و يرى بعض المؤرخين أن الدافع لتأسيس مدارس الحقوق خارج مركز الدولة هو ازدياد الرغبة عند الطلاب لإكمال تعليمهم في مدرسة الحقوق بإسطنبول و تخوف سلطان عبد الحميد الثاني من زيادة عدد طلبة التعليم العالي بإسطنبول فحاولت تقليص عدد الطلاب بفتح المدارس العليا خارج العاصمة .

د)_ المدارس العسكرية :

في سنة 1845 م قررت الدولة العثمانية إقامة مدرسة عسكرية في مراكز الفيالق العثمانية و في عهد السلطان عبد العزيز الذي اهتم بتحديث الجيش و الأسطول أقيمت لأول مرة في سنة 1875 م تسعة مدارس رشدية عسكرية (في أماكن مختلفة من الدولة العثمانية)

---

[1] فاضل بيات، المرجع السابق ،ص395.

[2] قام مدحت باشا عندما كان واليا على ولاية الطونة بإقامة مدارس للحرف والاشغال اليدوية عرفت باسم(اصلاح خانة) وبعد نجاح التجارب التي خاضها مدحت باشا في ولاية الطونة جرت المحاولات لفتح اصلاح خانة في استانبول ايضا. للمزيد انظر: احسان اوغلي ،المرجع السابق ،ص ص576-577

لإعداد ضباط صف و معلمين [1] و كانت هذه المدارس التي كانت بمثابة مدارس ابتدائية منتظمة غاية الانتظام و كان المعلمون و الإداريون فيها عسكريين و تلاميذها يلبسون الزي العسكري ، و ترك لخرجيها الخيار في الاستمرار للدوام في المدارس الإعدادية العسكرية أو المدنية أو التعيين في إحدى دوائر الدولة .و كانت مدة الدراسة في المدارس الرشدية العسكرية 3 سنوات ثم زيدت إلى 4 سنوات ، و بقيت هذه المدارس مستمرة حتى ثورة1908م.[2]

ج)ـ مدارس الطوائف الأخرى في الدولة العثمانية :

أما المدارس التي أسستها الطوائف الغير الإسلامية في الدولة العثمانية ، فقد أقيمت من قبل الأغنياء[3] وأرباب الخير من غير المسلمين وكانت تدار من قبلهم ، وقد انتشرت هذه المدارس الخاصة في مختلف أرجاء الدولة العثمانية، ولم تكن الدولة تتدخل في شؤونها أو في مناهجها مطلقا [4]،ولكن بعد أن ازداد التدخل الغربي في شؤون الدولة العثمانية ، وبرزت إلى الوجود مسألة الطوائف الغير الإسلامية ، وخاصة المسيحية ، قامت الدولة بسن بعض التشريعات للحيلولة [5]دون قيام هذه المدارس بما يتعارض مع سياسة الدولة ، غير أن الدولة لم تتمكن من أن تحقق كل ما تبتغيه .ومن أهم الامتيازات المتعددة التي منحها فرمان التنظيمات العثمانية للعناصر غير المسلمة في الدولة العثمانية هي حرية التدريس وحرية اللغة .والحقيقة أن الدولة العثمانية لغاية عهد التنظيمات تركت التدخل في شؤون العناصر الغير مسلمة في هذا الخصوص ، إلا بعد أن استغلت بعض الدول الغربية هذا الوضع لتفرض حمايتها ، مما اجبر الدولة على وضع بعض الضوابط على شكل أنظمة وقوانين وقرارات للحد من نشاطاتها

---

[1] فاضل بيات،المرجع السابق،ص395_398.

[2] نفسه، ص395_400

[3] قام اثرياء الروم في استانبول بتأسيس مدرسة عام 1803م عرفت بسم (قورو جشمه روم مكتبي)، للمزيد من التفاصيل انظر: احسان اوغلي، المرجع السابق ،ص591

[4] يرجع السبب الاساسي في منح الاستقلال الحقوقي والقضائي للطوائف غير الاسلامية القاطنة في الدولة العثمانية الى حرية الدين والعقيدة التي اعترفت بها الدولة العثمانية لهم .وكان السلطان الفاتح قد نظر الى غير المسلمين على انهم (ملة) داخل ضمن الرعايا العثمانيين.

[5] فاضل، بيات: نفسه،ص414

المعادية [1].وبعد إعلان التنظيمات قامت الطوائف غير الإسلامية بإحياء مدارسها وإصلاحها داخل الدولة[2].

كما قام أفرادها بإرسال أبنائهم إلى الخارج لأجل الدراسة ،أو إدخالهم في المدارس الأجنبية التبشيرية[3] فاستغنوا بذلك عن الدخول في المدارس الحكومية ولم تقف الدولة حائلة دون قيامهم بذلك أما القرارات والأنظمة التي أصدرتها بهذا الخصوص فكانت من اجل تنظيم تلك المدارس لتكون تحت إشرافها وتحت مراقبتها ، فعندما أصدرت في سنة1869م نظام المعارف العام خصصت بعض مواده لهذه المدارس غير أن الدولة كانت توجس خيفة من هذه المدارس وذلك في الوقت الذي كانت تمر بظروف حساسة و مهددة من الناحية الأمنية ،وكانت تدرك نوايا القائمين على تلك المدارس ودورهم في تعبئة الرأي العام ضد توجهات الحكومة فقامت هذه الأخيرة على تقييد دور هذه المدارس فأصدرت بعض الأوامر ومنها حظر تدريس المواد المخالفة للآداب وسياسة الدولة .ولهذا ألزمت الدولة هذه المدارس تصديق مناهجها الدراسية وكتبها المقررة في وزارة المعارف أو في الولايات وفي سنة 1886ماسست وزارة المعارف في استانبول ، مفتشية المدارس غير الإسلامية [4]و جعلتها دائرة مستقلة والتي كانت مهمتها تفتيش المدارس المتواجدة في مركز الدولة والولايات المختلفة ، والحيلولة دون قيامها بإلحاق الأضرار بسياسة الدولة وأمنها وفق مناهج الدولة[5]تكون هذه المدارس برخصة ،كما قامت الدولة العثمانية بتقديم توجيهات إلى مديري مديري المعارف في الولايات فيما يخص كيفية التعامل مع هذا النوع من المدارس.

---

(1) ففرمان الاصلاحات الذي صدر في سنة 1852م وضع لأول مرة شروطها على مدارس الطوائف الدينية ومما جاء فيه "يحق لكل طائفة في اقامة مدارس خاصة بها في مجال التربية والحرف والصناعة ،على ان تخضع المناهج الدراسية في مثل هذه المدارس واختيار معلميها واعضائها لمراقبة وتفتيش من قبل مجلس مشترك يعين اعضاؤه من قبلنا "–اللوائح التنظيمية حول التعليم في المدارس التي تخص الطوائف الغير اسلامية، للمزيد من التفاصيل انظر: احسان اوغلي :المرجع السابق،ص595-.596

(2) فاضل بيات، المرجع السابق : ص415

(3) التي كانت تتوسع وتنتشر يوما بعد آخر، وبهذه الطريقة كانوا يتلقون علوما علمية تعينهم في شق طريقهم في الحياة

(4) احسان اوغلي: المرجع السابق ،ج2 ص596

(5) فاضل بيات: نفسه، ص416

ما يمكننا الإشارة إليه في ما يخص المدارس الغير المرخصة فان الدولة العثمانية لم تتخذ أي إجراء من شانه غلق تلك المدارس، بل اتخذت بعض الإجراءات الجزائية بحقها مثل عدم الموافقة على تجديد واعمار هذه المدارس ...الخ[1]

كما حددت الدولة نشاطات المدارس غير الإسلامية في سنة 1896م بمجموعة من التعليمات فألزمت أصحابها على إلزامية موافقة الدولة على تأسيسها ،وعدم استخدام المديرين والمعلمين والمستخدمين الذين لم تثبت شهاداتهم الدراسية ،وعدم تناول المطبوعات الممنوعة فيها ،كما ألزمت نفس التعليمات في الولايات فكلفت مديري المعارف بتفتيش هذه المدارس في الأوقات المختلفة من السنة للوقوف على أوضاعها العامة ،ومعرفة إذ كانت مجازة أم لا وكيفية إجراء عملية التدريس ووضع منتسب وها والكتب الدراسية المقررة فيها ونوعية المواد الدراسية .إلا أن هؤلاء المديرين لم يكن لهم في هذا الخصوص غير إجراء التحقيق في المجال الذي يرونه مخالفا للتعليمات وإشعار الوزارة بذلك وتمثلت المخالفات في :إتباع أساليب مخالفة للأصول والأنظمة ،أو الإساءة إلى الدين الإسلامي والسلطان العثماني ومصالح الدولة ، أو إدخال الكتب والمطبوعات الممنوعة والتي تروج السياسة الأجنبية أو تلقين الطلاب أفكارا فاسدة وركزت بالدرجة الأولى على الكتب التاريخية والجغرافية والخرائط [2].وكان مديرو المعارف في الولايات يقومون بالتنسيق مع مفتشية المدارس غير الاسلامية والاجنبية في استانبول ويتلقون التعليمات والاوامر منها بخصوص هذه المدارس[3].

المدارس الاجنبية في الدولة العثمانية:

اما المدارس الاجنبية في الدولة العثمانية فترتبط اقامتها بالجمعيات التبشيرية من خلال حركاتها التبشيرية [4]،وكانت هذه الجمعيات تتعامل مع كل مناحي الحياة من اجل اقامة

---

[1] غير ان هذا التفتيش ايضا لم يتحقق .اذ قدم زهدي باشا عام1893م تقريرا الى السلطان ذكر فيه ان القوانين التي صدرت حتى الان حول المدارس غير الاسلامية ومدارس الاجانب لم يجرى تطبيق اي منها ،احسان اوغلي :ج 2،نفسه،ص596

[2] فاضل بيات ،المرجع السابق،ص417_418

[3] نفسه،ص417-418

[4] الارثوذكس، الكاثوليك ،البروتستانت. للمزيد من التفاصيل انظر: احسان اوغلي: المرجع السابق،ص596

النفوذ فيها وبالتالي اولى هؤلاء المبشرون اهمية كبيرة للتعليم لانهم وجدوا في التعليم خير وسيلة لنشر الافكار واجراء عملية التحويل الثقافي ،وكانوا يستهدفون من خلال التعليم اعداد زعماء للمجتمع الاسلامي ليكونوا اصحاب راي في المسائل العالمية ،ولهذا استهدفوا رجالات الدولة الاقوياء من العائلات النبيلة بغية اعدادهم زعماء مؤثرين في المستقبل .

ولم يكن التعليم مقتصر على الذكور بل اهتموا كثيرا بتعليم الاناث في البلاد الاسلامية .وكانوا يتطلعون الى جعلهن حرات ومستقلات حسب المفهوم الغربي .[1]

وقد انتعشت هذه المدارس انتعاشا كبيرا في عهد التنظيمات وبدأت تمارس التدريس اكثر حرية من ذي قبل ،مستغلة التسهيلات التي وفرتها الدولة العثمانية في هذا الخصوص ،وكانت هذه المدارس تتبع نفس برامج ومناهج وكذلك نفس الكتب الدراسية التي تتبعها المدارس العثمانية .

ولكن مع الوقت اصبحت الدولة العثمانية تشعر مدى الاخطار المحدقة بها فأصدرت مجموعة من الانظمة التي تنظم مرافقها ومؤسساتها المختلفة او النشاطات التي تقوم بها جهات غير حكومية او اجنبية في اراضيها ،ففي عهد السلطان عبد العزيز سعت الدولة الى اتخاذ بعض الاجراءات للمدارس الاجنبية وذلك ضمن نظام المعارف العمومية الصادر سنة 1869م الا ان معظمها لم يدخل حيز التنفيذ، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني وقف امام تلك الخاطر التي كانت تهدد امن الدولة العثمانية ،فأمر بإغلاق عدد كبير من المدارس الامريكية ،وفي سنة 1886م انشأ مفتشية المدارس الاجنبية غير الاسلامية ،وصدر فيما بعد امر سلطاني الزم المدارس الاجنبية الحصول على ترخيص رسمي الا ان ما قام به السلطان عبد الحميد والإجراءات التي اتخذها بهذا الخصوص كانت بمثابة تهيئة السبل لا نهاء حكمه[2].

---

(1) فاضل بيات ، المرجع السابق ،ص420

(2) نفسه ،ص420.

ب)–المدارس اليهودية في الدولة العثمانية:

فبعد توجه الدولة العثمانية نحو التعليم الحديث خاصة في عهد السلطان محمود1808_1839م حيث اقيمت المدارس على الطريقة الغربية ،وكان اليهود بعيدين كل البعد عن هذه المدارس ،وتمادوا في جهالتهم حتى انهم كانوا لا يفرقون بين اللغة والدين واعتبروا تعلم لغة اجنبية بمثابة اعتناق دين جديد ،وعلى الرغم من الدعوات الموجهة لهم من قبل الحكومة العثمانية للدخول الى مدارسها ، الا انهم لم يستجيبوا اليها ، بل استمروا في ضلالهم ومما يجدر ذكره ان اليهود الاسبان الذي استوطنوا في الدولة العثمانية ،كانوا يستخدمون اللغة الاسبانية في مناهجهم الدراسية، الا ان مدارسهم كانت تعاني من التخلف وعدم التنظيم وسعت جمعية الاليانس[1] جاهدة الى تعليمهم اللغة الفرنسية في المدارس التي اقامتها .غير ان هذه الجمعية واجهت واجهة مشكلة في هذا الصدد ،وهي ان فروعها في المانيا وايطاليا قامت بتعليم الالمانية والإيطالية بدل الفرنسية .افتتحت جمعية الاليانس اولى مدارسها العصرية في الدولة العثمانية في استانبول وازمير وانقرة ثم في الولايات الاخرى .ولكي تثبت انها لا تستهدف الدين اليهودي فقد جعلت هذه المدارس كأماكن للعبادة ايضا ،اذ فرضت على الطلاب ممارسة الشعائر الدينية فيها مع معلميهم صباحا ومساءا اي قبل بدئ الدروس وبعدها ،وعلى الرغم من هذا فان رجال الدين اليهود اعتبروا حركات الاليانس هذه بدعة وانحرافا عن اليهودية ،فاصدروا بيانا ضدها وقاطعوها .وكان هؤلاء ينتقدون الطلاب ومعلميهم لحصرهم العبادة في الصباح والمساء ،لان العبادة اليهودية كانت تقام ثلاث مرات وفي اوقات محددة كما اعترضوا على استعمال المدافئ لتدفئة القاعات الدراسية في هذه المدارس ،لأنها من المخترعات الغربية ،وطلبوا التدفئة بالموقد. إلى جانب المدارس التي اقامتها جمعية الاليانس ،اسس اليهود المحليون في الدولة العثمانية مدارس خاصة بهم ،وقد اقاموا اول مدرسة عصرية لهم في استانبول ، وذلك في سنة1854م وكانت تدرس فيها اللغات التركية والعبرية والفرنسية .وقد اعتبروا تعليم الفرنسية فيها اثما وعارضوها معارضة شديدة.[2]

---

[1] تأسست في باريس سنة1860م من قبل المحامي اليهودي كريميو وكانت غايتها حماية المصالح اليهودية وتأمين وحدة الثقافة اليهودية، للمزيد انظر فاضل، نفسه، ص431

[2] فاضل بيات ،المرجع السابق،ص429_433.

2 | –الأدب التركي :

و مع ظهور عهد التنظيمات و قعت تغيرات جذرية على تاريخ الأدب التركي في الأناضول غير أن هذه التغيرات لم تظهر بين عشية و ضحاها فور إعلان التنظيمات عام 1839م و من ثم فقد ظل الأدب التركي على مسيرته في ثلاث فروع (ادب الديوان و أدب التكايا و الأدب الشعبي) [1].

... و الخلاصة أن حركة التنظيمات عام 1839 م جاءت معها بتبديلات جذرية في الأدب أيضا قدر ما أحتته في تغيير في المجتمع التركي و مفهوم الدولة ، فهذا الذوق الشعري و تلك المفاهيم الأدبية التي سادت عدة قرون قد تركت مكانها لأذواق و مفاهيم اخرى مختلفة ، أمـــا روادها فقد أخذوا في التلاشي و الانقراض مع مرور الوقت[2].

و كان من المتوقع مع حركة التجديد المتأثرة بالغرب أن تظهر ترجمات أدبية بأعداد ضخمة ، إلا أن ذلك لم يتحقق خلال الأعوام العشرة الأولى [3] .

3 | –الشعر العثماني :

الشعر العثماني من أغنى أشعار العالم و من اهم شعراء القرن التاسع عشر ميلادي الشاعر سنبل زاده وهبي (1809م) ، و الشاعر فاضل الاندروني (1810م) ن الشاعر واصف الأندروني (1824م) الشاعر برتو باشا (1839م) و الشاعر عيني (1833م)، هؤلاء جميعا لهم دواوين تم طبعها بالأحرف العربية[4]

- كيجه جي زاده عزت ملاء (1785-1829م)

- لسكوفجه لي غالب بك (1829-1867م)

---

[1] للمزيد من التفاصيل ٍأنظر :احسان اوغلي: الدولة العثمانية تاريخ و حضارة،ج2 ، المرجع السابق، ص ص 43-94

[2] للمزيد أنظر: نفسه ص 95

[3] نفسه، ص 111

[4] للمزيد انظر :نفسه ص87

- ضياء باشا (1829-1880م)
- يني شهرلي عوني بك (1827-1884م)
- نامق كما بك (1840-1888م)
- توفيق فكرت بك (1867-1915م)
- احمد هاشم بك (1884-1933م)
- جناب شهاب الدين بك (1870-1934م)
- مُحَّد عاكف أرصدي (1870-1936م)
- عبد الحق حامد تارهان (1851-1937م)
- يحي كمال بياتلي (1884-1958م) [1]

6 | المسرح والموسيقى:

تعتبر المسارح في القرن التاسع عشر ذات النمط الغربي أي عام1839م، حيث تؤدي فرق فرنسة وايطالية برامج عروضها كما سوف تؤدي فرق يونانية أو أرمنية، وكانت الكوميديات ذات حوارات مرتجلة(طلوعات) جزئيا، الا انه طغى أيضا عروض للأوبريتالايطالية، التي كانت تؤدي أمام البلاط، وخلال سنة1867م تأسس المسرح العثماني تحت إشراف جوللر أجوب، مع قيام فرقة أرمينية بأداء مسرحيات أوربية بالتركية وبأداء عدد من الابرات التركية الأولى ،وفي عام1882م أمر السلطان عبد الحميد بإغلاقه ثم بعد ذلك هدمه باعتباره تخريبا.

ولقد مس التغريب في القرن التاسع عشر أيضا الفنون الموسيقية مع مجيئ أور كسترات أوربية واستيراد الآلات الموسيقية الى درجة تأثر الموسيقى التقليدية بالألحان الأوربية.[2]وقد

---

[1] يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ص528

[2] روبير، مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، تر، بشير السباعي ،ط1،دار الفكر، القاهرة ، 1993،ص ص472-473

بلغت فيه الموسيقى المولوية في ذروة تقدمها هي الاخرى ،ولاسيما بتشجيع السلاطين اتباع الطريقة مثل محمود الثاني ،ففي مقابل ثلاثة عشر طقسا (آيين)هي مجموعة ما تم تلحينه خلال الحقبة السابقة وفي القرن التاسع عشر تم تلحين 42طقسا دفعة واحدة[1] وما يجب الاشارة اليه ان المهترخانة قد اغلقت على يد السلطان محمود الثاني عام1828م،وجرى بدلا من ذلك تشكيل مدرسة باندو للسراي وهي نسخة من الباندوهات الغربية عرفت باسم (موزيقه همايون) .[2]وفي سنة 1831م اسس donizettiباشا معهد تعليم الموسيقى الغربية على الطراز الايطالي وبذلك تأخر دخول الموسيقى الالمانية والفرنسية الى تركيا[3]،كذلك مدرسة الاندرون الموسيقية قد تم الغائها هي الاخرى على يد محمود الثاني عام1833م مع تشكيل (الاندروناهمايوني) والواقع ان فكرة النهوض بالبلاد والوصول بها الى المستوى الذي بلغته الدول الغربية ،سوف يتحقق بتقليد ومحاكاة المؤسسات الغربية .ولأجل هذا كانت مدرسة الموسيقى الهمايونية(موزيقه همايون)التي هي باندو وعلى الطراز الغربي كافية في نظر محمود الثاني والسلاطين المجددين من بعده [4]

7 | –الصحافة في الدولة العثمانية:

ظهرت فئات مثقفة تركية لاسيما منذ ان تولى السلطنة السلطان عبد العزيز 1860م وقد اطلقت تلك الفئات عام 1865 م على تجمعها اسم "العثمانيون الجدد او شباب العثمانيين ـ يني عثمان ليلر" وكان هؤلاء ممن سمحت لهم الفرصة بتلقي العلم في اوروبا لاسيما في فرنسا ومن بين هؤلاء شنازي وضياء ونامق كمال وهو اشهرهم وقد لعبت الصحافة دورا هاما في التجديد الفكري والسياسي [5]،فقد ظهرت أول صحيفة رسمية عثمانية عام 1831م،اما الصحيفة الثانية التي ظهرت عام1840م فهي صحيفة شبه رسمية وفي عام1860م قام شينازي وهو أول مؤسس لصحيفة خاصة وقام بتحرير مجلة مستقلة كبرى ،عام 1862م

---

(1) يلماز، اوزتونا: المرجع السابق،ص771

(2) نفسه،ص509

(3) نفسه: ص769

(4) نفسه: ص772

(5) حسان الحلاق: المرجع السابق،ص40

وهي مجلة ادبية وسياسية والتي تعرف بمجلة تصوير والتي تتميز بنزعة تقدمية راسخة ، لكنها معتدلة وتتميز بتأثير ثقافي فرنسي عليها . وهناك صحف اخرى مثل: حوادث، ترجمان احوال، مرآة، مخبر عين وطن، وسواها. وقد اصبح هذا التجديد المثير ممكنا بفضل الاندفاع الجديد للحداثة والذي ميز عهد السلطان عبد العزيز(1861ـ1876م) واعتبار من عام1891م تم انشاء مجلة ثروة "ثروة الفنون" تحت اشراف أحمد احسان ،وذلك لنشر الثقافة الحديثة بين المثقفين ،الا انه في عام 1896م[1]، وعرفت الصحافة العثمانية تطورا سريعا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي وبشكل اسرع بعد وصول جماعة تركيا الفتاة الى السلطة عام 1908م.

كذلك برزت مجلة الفجر " فجر المستقبل" فقد كانت أقل ميلا في تناول الموضوعات السياسية وأكثر ميلا الى النزعة الجمالية الأدبية وفد برزت بشكل خاص من خلال ابداع أحمد هاشم 1885ـ1933م الشاعر الرمزي الذي يعبر عن مشاعر النفس الحميمة ، والذي كتب أشعارا حساسة في موسيقاها، وذات نبرة جديدة في الادب التركي[2]

وما يجب الاشارة اليه انها تعرضت لمضايقات حكومية ادت بها الى الهجرة الى الخارج لاسيما الى باريس ولندن وجنيف ، لممارسة الصحافة والنقد بحرية تامة [3]

---

(1) روبير ،مانتران : المرجع السابق،ص469-470

(2) نفسه: ص471

(3) الحلاق: نفسه، ص41

المطلب الثالث: الحياة الدينية في الدولة العثمانية :

1)- الطرق الصوفية:

أ)-الفرق والمحافل (التكايا الصوفية):

لقد لعبت الجماعات الصوفية دورا هاما في الحياة الاجتماعية ، وكانت المحافل الصوفية في الامكنة التي كان اتباع الطرق الصوفية وغيرهم من المسلمين يلتقون فيها في المناسبات والاحتفالات الدينية وكان اتباع الطرق الصوفية يخضعون لتعاليم مؤسسي هذه الطرق والذين كانوا يحضون بإجلال بالغ ويعتبرون بمثابة الاولياء.([1])وكانت الصوفية تقوم على تنمية العاطفة الدينية عند الناس عن طريف التقرب الى الله عن طريق التأمل ، وكان المشايخ الصوفية واتباعهم يمارسون نشاطاتهم وشعائرهم في التكيات ويقومون بإقامة الاذكار والاناشيد ،ولقد بلغ عدد التكايا ما بين عامي 1820 م ـ 1920م الفين الى ثلاثة الاف تكية في اقليم انطاليا ورماليا وفي استانبول وصل عددها الى ثلاثمئة تكية .اما فيما يخص عدد التكايا المشغولة دائما حوالي 60% او80 %وكانت الحالة الاقتصادية للتكايا تعتمد[(2)]على عدد اعضائها، ومن بين الدراويش(**انظر الملحق رقم4**) الذين كانوا مسجلين في استانبول سنة 1870م،كان 525 منهم يتبعون الطريقة النقبشندية التي تعتبر من اكبر الطرق ،و300منهم يتبعون الطريقة المولوية[(3)]والتي انتشر اتباعها بالرقص القائم على دوران الراقص حول نفسه في اوضاع مختلفة(**انظر الملحق رقم 5**) الى جانب ذلك جل اتباعها ينتمون الى علية القوم والكثير من القادة السياسيين ،مما جعلهم يتمتعون بنفوذ سياسي[(4)].و173يتبعون الطريقة القادرية ، اما باقي الطرق فكان اتباعها لا يتجاوزون المئة الا بقليل مثل الطريقة البدوية والشاذلية. ولقد شهد القرن التاسع عشر ميلادي اكبر التكايا والتي كانت تضم حوالي 139درويشا ، اما التكايا الاخرى اقل حجما فقد ضمت ثلاثين درويش او أكثر.

([1]) دونالد ،كواترت: المرجع السابق ،ص ص 288-288

([2]) رايموند ،ليفشيز :تكايا الدراويش (الصوفية والفنون والعمارة في تكايا العثمانية) تر: عبلة عودة، مر: احمد خريس،ط1،هيئة ابوظبي للثقافة والتراث ،2011،ص ص74 -79

([3]) نفسه ، ص ص79-74

([4]) كواترت: نفسه، ص ص290 -289

وكان الكثير من المحافل الاخرى عبارة عن ابنية مؤلفة من عدة حجرات: حجرة المكتبة وغرفة الضيافة مخصصة للشيخ ومرتديه ومطبخ وحمام عام ومرافق للنساء والرجال بالإضافة الى قاعات الدرس . وكان هناك محافل اخرى اكبر واكثر اتساعا ،ضمت عدة مبان لسكن العائلات والافراد واستقبال الزائرين ،كما حوت مكتبات وقاعات للصلاة [1]وخلاصة القول ان التكايا كانت تعتمد في داخلها على مصادر متعددة ،اذ تظهر سجلات الايرادات لخمس من التكايا الكبى في استانبول عام1847م ايصالات لتأجير حقول مزروعة ،وايصالات اخرى تخص عقارات من ملكيات الاوقاف ، وايصالات لتأجير الحمام العمومي .[2]

ب)–مقامات الاولياء:

تعتبر زيارة أضرحة الاولياء والوليات والتي لها صلة وثيقة بالحركات الصوفية ، وذلك للبركة والشفاء من مرض او تحقيق امنية ، وكانوا يقيمون لعدة ساعات قرب الضريح وقد تصل في بعض الاحيان الى اربعين يوما املين تحقيق امنياتهم ، وللحصول على بركة الوالي ،كان البعض يربط وشاحا بالسور المحيط بالضريح او يضع قميصا او قطعة من ثيابه على الضريح[3] ،وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي بني ضريح سباعي الجوانب في كاترين قرب سالونيك في اليونان ،وكانت الاضرحة ذات زخارف عثمانية اسلامية وكانت تحتوي على اسماء الله الحسنى بالخط العربي ،ونجد ايضا رسومات ومن المظاهر الاخرى التي ميزت الاضرحة الكسوة التي تغطي تابوت الوالي.[4]

2 | –الاعياد والعطل الرسمية :

كانت الاعياد من المناسبات الخاصة التي اعتاد عليها الناس في ارتداء ملابس جديدة والتنزه في المحلات العامة والاستمتاع بأوقاتهم في جو من البهجة ،وكانت جل الاعياد دينية في جوهرها ،ففي اواخر القرن التاسع عشر ميلادي اخذ التقويم الميلادي يستخدم الى جانب

---

(1) دونالد كواترت، المرجع السابق، ص289

(2) ليفشيز ، المرجع السابق،ص81

(3) كواترت ،نفسه ،ص290

(4) ليفشيز، نفسه، ص ص189_192

التقويم الهجري ،اما الاحتفالات غير الدينية فكانت تتصل بحياة السلطان واسرته وشملت حفلات الزواج او حفلات الختان[1] كذلك الاحتفالات وأعراسهم التي تقام في السراي بمناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى فكانت مبعثا لتنسم جو مختلف.[2]وخلال سنوات 1840و1850م اصبحت الزيارات الرسمية لتهنئة الوزراء وكبار الموظفين ،اما شرائح الذين في المجتمع كصغار الصناع والخدم فكانوا يحصلون على اعطياتهم من سادتهم ،ولقد عرف منتصف القرن التاسع عشر ميلادي اجتماع الفقراء والمحتاجين يوميا خارج قصر السلطان عبد الحميد ليتسلموا اعطياتهم من رجال السلطان ،اما فيما يخص شهر رمضان الكريم فكانت معظم الحوانيت والمحلات تغلق في هذا الشهر ،ولقد قارب شهر رمضان بين الطوائف من حيث ان الكثير من غير المسلمين كانوا يدعون لمأدبة الافطار في قصر السلطان ،ولقد اتسم شهر رمضان في الدولة العثمانية بسهرات والتي كانت فيها الكثير من التسلية وعلى رأسها مسرح الكركوز الذي كان يرتاده الناس لسماع حكايات مختلفة في كل ليلة من ليالي الشهر.[3] وكان في جميع انحاء الامبراطورية تلاوة القرآن في المساجد خلال ايام الشهر حتى عشية العيد ، كما كان الكثيرون يزورون اضرحة الاولياء وقبور اقاربهم وذويهم ويقضون الليالي في خيام بجوار هذه الامكنة .[4]وفي اواخر القرن التاسع عشر الميلادي لم تعد الدولة تتبع سياسة واضحة اتجاه مراعات الناس لحرمة رمضان وقد يستغرب المرء ان موظفي القصر في عهد السلطان عبد الحميد كانوا يأكلون ويشربون ويدخنون خلال شهر رمضان.[5]

3 | –الاوقاف في الدولة العثمانية :

يعرف الوقف بأنه حبس العين عن التملك ،والتصدق بمنفعتها في اوجه البر والاحسان ،وقد احتلت معاملات الوقف ،واحكامه في الشريعة الاسلامية جزءا كبيرا من كتب الفقهاء،اما

---

(1) دونالد، كواترت : المرجع السابق، ص ص292-293

(2) وتصور الأميرة عائشة عثمان أوغلي ابنة السلطان عبد الحميد الثاني الجو الذي يلف السراي في شهر رمضان ،للمزيد من التفاصيل أنظر :أكمل الدين احسان اوغلي :الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج1،المرجع السابق ، ص ص592-593

(3) نفسه ، ص294-295

(4) دونالد ،نفسه،ص296.

(5) نفسه، ص297

فيما يخص الاوقاف في الدولة العثمانية في القرن التاسع عش ميلادي فقد اسست ادارة جديدة للأوقاف باسم :نظارة[1] الاوقاف الهمايونية 1829م،التي كانت من قبل مرجع واحد وناضر عضو في الوزارة [2]وفي مراكز الولايات فتحت مديرية الاوقاف وفي هذه الفترة صدرت عدة انظمة تتعلق بإدارة الاوقاف ،وكان ناظر الاوقاف عضو مجلس الوزراء ،وكان يحضر الجلسات .واستمرت نظارات الاوقاف الهمايونية (وزارة الاوقاف السلطانية) الى غاية الغاء الدولة العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية . فالأوقاف الهمايونية استحوذت على موارد الاوقاف التي كانت تستفيد منها هيئة رجال العلم الى حد كبير ،وعادت بالتالي تلك الأموال الى خزانة الدولة وتضررت كثيرا تلك المدارس التي كانت تعيش على واردات الاوقاف، كما تضررت الخدمات الدينية الاخرى[3]،وكذلك صدور نظام ادارة الاوقاف في الولايات وواجبات مديريها في ديسمبر1863م الذي تناول في تسعة فصول تضم ستا وخمسون بندا ،وترتيب وتنظيم اعمال دوائر اوقاف الولايات ومهام وواجبات مديريها ،وكان مهام ادارة الاوقاف منحصر في الاشراف على المساجد والمدارس الدينية والمؤسسات الوقفية الاخرى ،وتعيين الائمة والمدرسين والخطباء وذلك وفقا لنظام (توجيه الجهات) الصادر في فيفري1870م،الذي صيغ في خمس عشرة مادة ،كما كانت تشرف هذه الاخيرة على الامور المالية للعتبات المقدسة [4]،وقد صدرت عدت قوانين (نظام نامة) متعلقة بوزارة الأوقاف السلطانية (أوقاف همايون نظارات) في تاريخ 1880م [5]ومن الامثلة على انواع الاوقاف في هذا القرن وقف السلطانة والدة عبد المجيد(بَزْم عالم) ووقف السلطانة والدة عبد العزيز (بَرتو نيال) كانت لهن اوقاف واحباس عظيمة[6]

---

(1) في اواخر الدولة العثمانية كان يعبر عن الوزارة بالنظارة وكان يقال للوزير ناظر كناظر المالية ،وناظر المعارف... الخ

(2) يلماز اوزتونا ،المرجع السابق ،ص496

(3) اكمل الدين، احسان اوغلي :الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،ج1 ، المرجع السابق ،ص ص310-311

(4) جميل موسى النجار: المرجع السابق ، ص 392-394 -395

(5) محمود صادق الحامدي، الأوقاف على التعليم في الخلافة العثمانية والجمهورية التركية ،ص7

(6) احسان اوغلي، ،ج1 ، نفسه ،ص155-156

4-الحج:

فخلال النصف الاول من القرن الثامن عشر بدأ السلاطين باتخاذ اجراءات حازمة لحماية قوافل الحج فالسلطان محمود الثاني اوعز الى مُحَمَّد علي باشا والي مصر بتجريد حملة عسكرية لكسر شوكة السلفيين وقد نجح مُحَمَّد علي ،ولو مؤقتا في هذا المسعى وفي نهاية القرن التاسع عشر تم انجاز مشروع سكة حديد الحجاز بمباركة السلطان عبد الحميد الثاني ،وذلك لتسهيل سفر الحجاج ولتقوية مركزه الديني كخليفة وكسب مودة رعاياه المسلمين[1]

وبالتالي ازدادت الرقابة من مركز الدولة كثيرا وتضاعف الاهتمام بفضل المواصلات البحرية (نحو اواخر القرن) والسكك الحديدية (خط الحجاز)، وبالتالي ازداد اعداد قوافل الحج الضخمة بقدر لا يقارن بما كان في السابق وتعاظمت قدرتها الدعائية في خط "السياسة الاسلامية"، كما كان امر العناية بالصحة واقامة محجر صحي ،واصبح بقاء المنطقة تحت الحكم العثماني جزءا لا يتجزأ من الافكار "الاسلامية" في خط الجامعة الاسلامية[2].

---

[1] دونالد، كواترت : المرجع السابق ،ص 184

[2] اكمل الدين ،احسان اوغلي :الاتراك في مصر وتراثهم الثقافي ،تر :صالح سعداوي ،ط1،دار الشروق ،2011 ،ص126

المبحث الثاني:الحياة الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي

المطلب الأول:حركة الإصلاح والتحديث في عهد مُحَمَّد علي باشا

المطلب الثاني:الإصلاح التعليم في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي

المطلب الثالث :التحولات الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي

لاريب أن وفود طائفة من العلماء إلى مصر للتنقيب عن أثارها والتعرف على أسرار طبيعتها المجهولة قد أيقظ في المصرين روحا جديدة ،فقد كان حملة العلم فيهم حملة الشّرع وكانوا يتوهمون أنهم محيطون بالعلوم كافة،فلما رأوا "الفلكيين" وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيأة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبةُ والحساب....إلخ.

ورأوا المكتبة الجديدة التي أنشأها الفرنسيون وما حوله من المصنفات،وترحيبهم بكل من يريد المراجعة من المصريين وخصوصا إذا رأوا التجارب العلمية الجديدة وغير ذلك،ورأوا المطبعة التي أتى بها بونابرت والصحيفتين اللتين كان يصدرهما ،ورأوا المصانع والمنشآت الحديثة .

كذلك انشأ بونابرت دواوين أو مجالس مؤلفة من كبار العلماء والتجار وممثلي الطوائف ومشايخ الحرف للنظر في الشؤون العامة ،وبذلك كان بونابرت أول من ادخل المبدأ النيابي في مصر، وعلينا أن نذكر أن العلماء والمشايخ قد اشّتد ساعدهم من ذلك الوقت وكان لهم فيما بعد اثر في اختيار مُحَّد علي لولاية مصر وإرغام الدولة العثمانية على تعيينه سنة1805م.

المبحث الثاني :الحياة الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي

المطلب الاول:حركة الإصلاح والتحديث في عهد مُحَّد علي باشا:

1_البعثات العلمية:

لقد اهتم محمد علي في فترة حكمه على التعليم ودوره في تغيير المجتمع والنهوض

به لذلك توجه إلى تحديث التعليم في مصر،وذلك من خلال اعتماده على مرحلتين أساسيتن اعتمد في المرحلة الأولى على الاستعانة بالخبراء الأجانب في تحديث المؤسسات التعليمية،وكمرحلة ثانية عمل على إرسال بعثات علمية إلى الخارج

لـدراسـة مختلـف العـلـوم والفنون[1].ولقد كان لهذه البعثات انطباعات عميقة على المجتمع المـصري، وصحبت نشـاط كبير في نواح ثقافية مختلفة ، وكذلك بروز نخبة من المثقفين ذوي الاختصاص خاصة في مجال التـأليف والترجمة والصحافة ممّا ساعد في الاعتماد عليهم في مختلف المجالات و الاستغناء عن الخبرات الأجنبية وهذا ما كان يسعى إليه مُحَمَّد علي من وراء البعثات[2].

وكانت أول بعثة عام1813م إلى إيطاليا ثم إلى ليفورن وميلان وفلورنسا وروما وذلك لدراسة الفنون العسكرية وبناء السفن العلوم الهندسية ،ومن بين اللذين تم إرسالهم من قبل مُحَمَّد علي نذكر نقولا مسابكي أفندي الذي أرسل إلى ميلان عام1815م ليتعلم فن سبك الحروف،كذلك درس فن الطباعة وأقام أربع سنوات فيها وتمكن من اكتساب خبرة في هذا المجال، وخلال عودته إلى مصر تولى إدارة مطبعة بولاق سنة 1821م وبقى مديرا لها إلى أن توفى سنة 1831م.[3]

أما البعثة الثانية فكانت وجهتها نحو فرنسا سنة1818م، أرسل إليها طائفة من التلاميذ منهم عثمان نور الدين أفندي الذي أرسل سنة1819م لإتقان الفنون الحربية والبحرية،وفي عام1820م عادا إلى مصر،وترقى في مناصبها إلى رتبة سر عسكر ورئيس للعمارة البحرية المصرية سنة 1828م.ثم توالت بعدها بعثات كبرى سنة1826م وهي مؤلفة من أربعين تلميذا،ولحق بهم أربعة آخرون فصار عددهم أربعة وأربعين طالب،[4]وذلك لتلقي مختلف الفنون والعلوم بإشراف الأستاذ "جومار"ولقد كان" رفاعة رافع الطهطاوي" من بين الأعضاء هذه البعثة العلمية والذي كان له دور بارز في النهضة الثقافية ،وخلال عودته كلفه "مُحَمَّد علي"بتأسيس "مدرسة الألسن"التي تعتني بالترجمة[5]،وفي سنة 1844م كانت بعثة أخرى

---

[1]سلوى العطار ،التغيرات الاجتماعية في عهد مُحَمَّد علي ،ط1،دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ،القاهرة:1989م، ص304.

[2]جميل بيضون وآخرون،تاريخ العرب الحديث والمعاصر،ط1،دار الامل ،بيروت:1991م،ص87.

[3]جاد طه،معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر ،دط،دار الفكرالعربي،مصر:1985،ص64.

[4]عمر طوسون ،البعثات العلمية في عهد مُحَمَّد علي ثم عباس الاول وسعيد ،د ط،مطبعة صلاح الدين الاسكندرية [4] مصر:2002م،ص10.

[5]نفسة،ص11.

مؤلفة من سبعين تلميذ اختارهم القائد سليمان باشا الفرنساوي من بين تلاميذ المدارس المصرية ،ثم تمكن الآخرون من التحاق بهم ،وكان من بينهم الأمراء منهم اثنان من أبناء مُحَمَّد علي وهما عبد الحليم والأمير حسين ،واثنان من أبناء إبراهيم باشا وهما إسماعيل والأمير أحمد ،ولقد تم إنشاء المدرسة المصرية التي تولى إدارتها"

إسطفان بك"[1]واستمرت تؤدي عملها إلى تأهيل الطلبة (إسماعيل والأمير أحمد) لإتقان اللغة الفرنسية ،إلى أن أقفلت سنة 1848م.[2]

وقد بلغ عدد الطلاب التي أرسلهم مُحَمَّد علي 319طالبا طول الفترة الممتدة من 1813م إلى 1847م ،والتي تم إحصائها على النحو التالي:

تاريخ البعثة	الجهة	عدد المبعوثين
1813م_1825م	ايطاليا ،فرنسا،انجلترا	28
1825م_1833م	فرنسا،النمسا،انجلترا	138
1833م_1843م	انجلترا،فرنسا	40
1844م	فرنسا	80
1845م	النمسا	02
1847م	فرنسا	05
1847م	انجلترا	25
1848م	انجلترا	21
الجملة		339

[1]اسطفان بك:من تلاميذ البعثة الأولى ، عين مديرا لمدرسة المصرية ،وبعده الدكتور كلوت بك من نوابغ البعثات ،وكان من كبار موظفي الحكومة في عهد عباس باشا الأول ووزير الخارجية في عهد سعيد باشا .انظر عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق،ص284.

[2] نفسه ،ص412.

وهنا نذكر بأن تمكنت الدولة من تحمل كل النفقات ،رغم أن البعثات بدأت بغير المصريين إلى أن نسبة الطلاب المصريين الذين شاركوا في البعثات وصلت إلى95 بالمئة.[1]

2_حركة الترجمة :

كان مُحَّد علي يهتم بالترجمة وذلك من خلال اطلاعه على الكتب وفي حال ما إذا أعجبه أمر بطبعه وتوزيعه على الأعيان والمكاتب ،وكان على عكس ذلك يحول دون نشر الكتاب إذا لم ينل استحسانه ،وقد كتب الجناب العالي مرة إلى مختار بك بتاريخ 10ذي القعدة سنة1252ه في شأن ترجمة الكتاب الذي وضعه الافرنسيس أثناء الحملة (والمقصود بذلك كتاب "تخطيط مصر")يطلب منه أن يرسل إليه النسخ المترجمة قبل طبعها ،وبعد فترة وجيزة تسلم مختار بك [2]كتاب أخر بتاريخ 21ذي القعدة سنة 1252ه فحواه أن الجناب العالي لا يوافق على طبع الكتاب الخاص بأخلاق المصريين الذي ألفه الفرنسيين[3].

وكان الوالي يهتم بكل كتاب يقع تحت بصره أو يسمع به يكون محتويًا على آراء يعود تنفيذها بفائدة مادية وأدبية.فقد أرسل إلى سلحدار إبراهيم باشا المقيم في لندن قد بلغنا أنه يوجد كتاب مطبوع » كتابًا بتاريخ19 ربيع ثاني سنة1234ه جاء فيه باللغة الإنجليزية يبينم بلغ مصر وفاتك ل سفينة حكومية أنشأتها الدولة الإنجليزية، وكذلك توجد كتب مطبوعة مؤلفة على طراز سهل يشتاق صغار الأطفال إلى قراءتها، فعلى ذلك قد اقتضت إرادتنا جلب هذا الكتاب المطبوع؛ ليحصل الاطلاع على مقدار المبالغ المصروفة لإنشاء السفن ومشترى الكتب أيضًا وإرسالها إلى طرفنا فيلزم شراؤها بمعرفتكم، وترجمتها إلى اللغة التركية ، ثم إرسالها مع الأصول المطبوعة[4].وإلى جانب هؤلاء المترجمين احتاج الوالي إلى من يقوم بمهمة الترجمة نظرًا لاتصاله المستمر بقناصل الدول كبار والموظفين الأجانب والسياح

---

[1]اسماعيل سراج الدين ،المرجع السابق،ص82.

[2]مصطفى مختار بك:من تلاميذ البعثة الأولى ،وكان موظفا بديوان مُحَّد علي باشا،وتخصص لدراسة الفنون الحربية .للمزيد أنظر عبد الرحمن الرافعي ،المصدر السابق ،ص 448_449.

[3]جاك تاجر،حركة الترجمة خلال القرن التاسع عشر ،د ط ،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة القاهرة ،مصر:2012م ص25.

[4]نفسه ،ص25_26.

القادمين إلى مصر ، وأول من اختاره الباشا لشغل هذا المنصب هو "يوسف بوغوص" الأرمني الأصل و كان يتقن عدة لغات، ولما غضب عليه الباشا حالَّم حله الدكتور "جايتاني "كبير الأطباء في فترة وجيزة ، إذ استدعى الوالي "بوغوص" مرة ثانية، وأعاده إلى منصبه الأول فظل يشغله طول حياته،وخلفه أرتين بك[1].ولما كان هؤلاء التراجمة لا يفارقون الوالي، اكتسبوا نفوذًا عظيمًا حتى إن"بوغوص بك"صار وزيرًا للشئون الخارجية وللتجارة،و كان مُحَّد علي يستشيره في أهم مسائل الدولة، ويطلق له الحرية التامة في تصريف كثير من الأمور الداخلية، أما"عثمان نور الدين (باشا) "الذي أحبه الوالي حبًا أبويًا وأرسله إلى أوروبا ليتعلم اللغات والعلوم فقد خالط بعد عودته إلى مصر كثيرًا من السياح الذين كان يصحبهم في رحلاتهم فأعجبوا بذكائه النادر وإلمامه باللغات، ولاسيما اللغة الفرنسية، وسما بسرعة إلى أعلى المناصب حتى صار أميرًا للبحر وقائدًا للأسطول المصري[2].

وكانت وسيلة مُحَّد علي باشا في الإصلاح النقل من الغرب واستعمل في ذلك أدوات غير مباشرة للترجمة والتي تمثلت في المدارس والبعثات العلمية وأدوات مباشرة تمثلت في مدرسة الألسن وقلم الترجمة وكذلك المؤلفون والكتب واستعان في ذلك بالمترجمون السوريون وخريجي المدارس والموظفون وأيضا المحررون والمصححون والقواميس والمعاجم وكذلك الطبع والنشر[3].

3_الطباعة:

تعتبر مطبعة بولاق أول مطبعة تم إنشائها في عهد مُحَّد علي باشا والتي تم تأسيسها سنة 1826م،وبدأت عملها سنة 1822م وقد ساعدت هذه المطبعة على زيادة عدد الكتب التركية

---

[1]أرتين بك:من تلاميذ البعثة الأولى ،عادا من فرنسا بعد أن أتم دراسة الحقوق والإدارة الملكية ،وعين وكيلا لمدرسة المهندسخانة ببولاق،ثم سكرتيرا أول وترجمانا لمحمد علي باشا،للمزيد أنظر:عبد الرحمن الرافعي ،المصدر السابق ،ص481.

[2]أكمل الدين إحسان أوغلي ،الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي ، ،ج1 ،المرجع السابق، ص180.

[3]جمال الدين الشيال ،تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر مُحَّد علي ،د ط،دار الفكر العربي ،مصر:1951م،ص36

المطبوعة إلى حد كبير،حتى بلغ عددها 253كتابا تركيا مطبوعا في مطبعة بولاق منذ تأسيسها حتى وفاته (1822_1848م)وكان الغرض من إنشائها هو طبع الكتب المدرسية والعسكرية[1] أما في عهد عباس تأثرت المطبعة بالركود والجمود الذي أصاب البلاد وفيما يخص عهد سعيد فقد لاقت المطبعة عناية لكنها لم تدم طويلا ولقيت نفسها معطلة مما اضطر عبد الرحمن رشدي الاستعانة بأحد أصحاب المطابع الفرنسية بالإسكندرية لكي يقوم بتطويرها .وفي عهد الخديوي إسماعيل كان أول إجراء قام به هو إعادة طبع جريدة الوقائع المصرية عام1863م وعرض وكيل المطبعة من إسماعيل شرائها وعرفت المطبعة في عهده باسم "المطبعة السنية ببولاق"وعمل على تطويرها واشترى لها محركا بخاريا ليدير آلاتها، وهو أول محرك بخاري يستخدم في مطبعة مصرية كذلك أمر الوالي من ناظر المطبعة بوصية شراء آلة طباعة لطبع الرسومات والأشكال والخرائط الجغرافية ،واشترى هذه الآلة من فرنسا واشترط على صاحبها أن يحضر إلى مصر ويقوم بتدريب العمال المصريين ، ونهضت المطبعة وتأثرت المطبعة بحال الأزمة المالية التي تفشت في أواخر إسماعيل وفي 1880 م انتقلت ملكيتها من الدائرة السنية إلى الحكومة المصرية[2].أما المطابع الرسمية الأخرى التي أنشئت قبل سنة 1840م فقد أغلقت معظمها بعد ذلك التاريخ وعاشت مطبعة القلعة حتى سنة 1846م، ويعود سبب إغلاقها إلى تلف معداتها وعدم اهتمام الحكومة بإصلاحها،كذلك كان حال مطبعة المهندسخانة ، فقد ظلت تعمل طوال عهد مُحَّد علي باشا[3].

4_حركة الإصلاح والتحديث على يد رفاعة الطهطاوي وغيره من المبعوثين:

بعد إنهاء المبعوثين المصريين دراستهم وتمكنوا من العودة إلى مصر ،وكانوا عونا لمحمد علي في جل الخدمات كإدارة دواوينه ومصانعه ومدارسه ،وقد رأى مُحَّد علي أن أول واجب عليهم هو ترجمة كتب العلوم التي درسوها في أوربا فنشطت حركة الترجمة واتسع آفاقها على يد رفاعة الطهطاوي وغيره من المبعوثين .وبعد عودت رفاعة من باريس في عام1831م والتي كانت

---

[1] أكمل الدين إحسان أوغلي،نفسه ،ص207_208.

[2] صلاح أحمد هريدي: المرجع السابق، ص 288.

[3] نفسه، ص 289.

أول اتصال روحي بالغرب أخصبت به عقول أهل مصر، أدرك رفاعة بالمسؤولية التي تنتظره في بلاده من أجل قيادة حركة التنوير وإصلاح المجتمع المصري .

أ_رفاعة رافع الطهطاوي:1801_1873م:

ولد رفاعة بمدينة طهطا بصعيد عام 1801م[1] نشأ بأسرة شريفة النسب ،فأبوه ينتمي نسبه إلى حسين بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت الشيخ "أحمد الفرغلي" وينتمي نسبها إلى قبيلة الخزرج الأنصارية [2]،وبعد وفاة والده تولى أخواله كفالته وأشرفوا على تعليمه في الكتاب،ثم انتقل إلى القاهرة والتحق بالأزهر،فشملت دراسته على علم الحديث والفقه والنحو والصرف،وتتلمذ على يد مجموعة من المشايخ وفي مقدمتهم الشيخ "حسن العطار"وهو من علماء الأزهر المستنيرين.[3]وفي سنة 1822م أتم رفاعة دراسته وتولى التدريس بالأزهر،ثم انتقل للعمل كواعظ بإحدى فرق الجيش المصري، ولما طلب مُحَمَّد علي من الشيخ العطار أن يختار له من علماء الأزهر عالما ليكون إماما للبعثة العلمية إلى باريس[4]، وأن تقتصر مهمته على إمامة طلاب البعثة في الصلاة ووعظهم وإرشادهم ،وهنا تم اختيار رفاعة لهذه المهمة ،فسافر مع البعثة عام 1826م وظل هناك خمس سنوات وكانت له من أهم سنوات عمره حيث انغمس في الدراسة بحماس ونجاح كبيرين،فانكب على قراءة التاريخ القديم والفلسفة اليونانية والجغرافية والرياضيات والمنطق،ودرس اللغة الفرنسية وأصبح يتحدث بها بطلاقة وتخصص في الترجمة وتفوق فيها لدرجة نال بها إعجاب أساتذته الفرنسيين ولم تمنعه بيئته المحافظة كشيخ أزهري من أن يوسع أفقه ويلاحظ ما يدور في فرنسا من أحداث ووقائع ويطالع ويترجم ما يختار من مطالعته ويعلق عليها.وعند عودته لمصر عام1831م كان شديد التحفز للإصلاح المجتمع وتعليمه [5]،وقد عهدت الحكومة له الكثير من المهام

---

[1]جمال الشيال ،المرجع السابق، ص120.

[2]مُحَمَّد عمارة ،رفاعة الطهطاوي رائد عصر التنوير في العصر الحديث ،ط 3،دار الشروق ،مصر:2007م،ص40.

[3]ألبرت الحوراني،الفكر العربي في عصر النهضة 1798_1939م تر:كريم عزقول ، د ط، دار النهار للنشر بيروت:1986م، ص91.

[4]عبد المنعم إبراهيم الجمعي ،نفسه ،ص2.

[5]محمود فهمي حجازي ،أصول الفكر العربي عند الطهطاوي مع النص الكامل "تلخيص الإبريز "،د ط،الهيئة المصرية العامة القاهرة :1974م،ص ص6_7.

والمسؤوليات فعين مترجما ومدرس اللغة الفرنسية في مدرسة الطب ،وفي عام 1834م نشر كتابه الشهير" **تلخيص الإبريز في تلخيص باريز**"الذي قدم فيه وصفا للمجتمع الفرنسي وإعجابه بهم[1] . ولم يلبث أن قدم إلى مُحَمَّد علي بإنشاء مدرسة الألسن ،ولما كان مُحَمَّد علي ينظر للاقتراحات والآراء المفيدة ، فقد وافق على اقتراح رفاعة وبادر بتنفيذه ،فأنشأت في عام 1835م وكان مقرها دار الألفي بالأزبكية ، وعهد إلى رفاعة بإدارة المدرسة التي بدأت مناهجها بدراسة اللغات العربية والتركية والفرنسية ثم اتسع نطاقها ليشمل الأدب والقانون الفرنسي والشريعة الإسلامية والفلسفة ،كما اعترفت المدرسة بالتاريخ كعلم لأول مرة ثم أدخلت اللغات الإنجليزية والفارسية بعد ذلك في مناهجها الدراسية[2] ،وقد الحق هذه المدرسة قلم الترجمة الذي انكب

أعضاؤها على ترجمة العلوم والفنون وخلال ذلك بذل رفاعة جهود كبيرة في نقل المعارف الأوروبية وثمار الفكر الغربي إلى العربية ،فعمل على تعريب الأسماء الأجنبية مع الاحتفاظ باسمها الأصلي[3]، كما قام بوضع مصطلحات عربية تتقابل في معاينتها مع مصطلحات الفرنسية ووازن بين اللغتين،كما دعا إلى تبسيط علم النحو العربي وتيسيره على طلاب العلم .وقد قام رفاعة في هذه المدرسة بدور المشرف والمشارك في كافة نواحي أنشطتها ولا سيما في قلم الترجمة الذي كان ملتقى للمتخرجين واستطاع أن يصنع من تلاميذه روادا للجيل الجديد [4].

إلى جانب ذلك تأثر "الطهطاوي"بما شاهده من وضع المرأة الأوروبية والفرق الشاسع الذي بينها وبين المرأة العربية ،لذلك أبدى اهتمامه بمختلف قضايا المرأة ودعا إلى نصرتها وذلك بمنحها لحقوقها التي أقرا ها الإسلام ،والاهتمام بتعليمها للتخلص من الجهل والتقاليد القديمة التي فرضت عليها[5].

---

[1] البرت حوراني ،المرجع السابق ،ص93.

[2] عبد المنعم إبراهيم ،المرجع السابق ،ص ص2_3.

[3] ألبرت الحوراني ،نفسه،ص94.

[4] عبد المنعم إبراهيم الجمعي ،نفسه،ص3.

[5] البرت الحوراني ،نفسه ،ص95.

ب _مؤلفات رفاعة الطهطاوي وأثرها في حركة التنوير:

1_تلخيص الإبريز في تلخيص باريز:

يعتبر هذا الكتاب وصف لرحلة الطهطاوي إلى أوروبا ،والتي تحدث فيه عن غريب العادات وعجيب المناظر التي شاهدها في فرنسا[1] ،وذلك من خلال رؤيته للنساء الفرنسيات يسرن في الشوارع بلا حجاب والوجوه مكشوفة في الطرقات يراقصن الرجال ويشربن الخمر بينما كانت قيود العادات والتقاليد تكبل المرأة المصرية وتجعلها تعيش في عصر الحريم[2]،كما كتب ما استطاع أن يحيط به من نظام الفرنسيين السياسي والإداري ،ورسم صورة واضحة لما رآه من شؤون الحياة الأوروبية ونظمها وتقاليدها مثل أوضاع النساء ودورهم في المجتمع موضحا أن مشاركة المرأة الفرنسية في المجتمع[3]تكسبه وتملأه أنسا وبهجة كما كتب عن طبقات الاجتماعية المختلفة وأعجب بنظافة الفرنسيين وحسن عاداتهم في تناول الطعام على الموائد والنوم،إلى جانب حبهم للعدل وتمسكهم بالقوانين وهنا تمكن من إضافة موضوعات جديدة عليه خاصة للفكر العربي ومن خلال ذلك قام الطهطاوي بتطوير اللغة العربية للأفكار والتصورات، وهي الوضع الأساس في التطور الحديث كذلك أضاف العديد من المعاني والموضوعات خاصة في السياسة والحكم والقانون والموازنة بين قواعد اللغة العربية والفرنسية وحرصه على حث المسلمين على تقليد الأوروبين في البحث والتطور[4].

2_مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب المصرية:

وقد قصد فيه رفاعة جمع معلومات عما أسماه المنافع العمومية التي تتسع بها دائرة التمدن الوطني والكتاب يدور حول فضل المنافع العمومية، وحالة تلك المنافع في الأزمنة القديمة، وهو

---

[1] رفاعة رافع الطهطاوي، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ،ج 2،السياسة والوطنية والتربية،دراسة وتح ،مُحَمَّد عمارة ،ط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت :1993م،ص185.

[2] جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر ، دراسة في التحول الوطني ،تر وتعليق د.عبد الوهاب بكر، د ط،الهيئة العامة للكتاب:1993م ص112.

[3] عبد المنعم إبراهيم الجمعي،المرجع السابق،ص3.

[4] نفسه ص3_4.

يعد معلما من معالم التجديد الفكري والتطور اللغوي[1]،كما يعد فتحا جديدا في الفكر العربي الحديث، جدد فيه رفاعة معالم الطريق الذي يرشح هل مصر لتسايره في نهضتها، كما بين فيه كيفية الاستفادة من علوم وثقافة الغرب مع الحفاظ على ما هو إيجابي من الموروث الثقافي العربي الإسلامي وصاغ فيه المفاهيم الأساسية للوطن و الوطنية، فمصر التي استخلصه امن إطار الموروث التاريخي للأمة الإسلامية، من وجهة نظره كالشخص له لب وفؤاد، وحياة وشعور، وهذا اللب مناهج حياة، وأسلوب عيش. أيضا دعا رفاعة إلى التسامح الديني، وأكد حقوق الأقباط واليهود بالخضوع لشريعتهم فيما يتصل بالأحوال الشخصية وقد اعتمد رفاعة في مصادره على التراث العربي الإسلامي القديم وعلى التراث الغربي الجديد خاصة التراث الفرنسي[2].

3_المرشد الأمين للبنات والبنين:

وهو كتاب في الآداب والتربية العامة، والطرق السليمة لتعليم البنات والبنين[3]وتهذيبهم أورد فيه رفاعة خلاصة فكره الاجتماعي والثقافي وموقفه من قضية المرأة المصرية فدعا إلى تعليمها وفتح أبواب العلم أمامها، كما تحدث فيه عن الوطن والتمدن والحريات العامة، ومن ثم نستطيع أن ندرك مدى تأثير فكر الطهطاوي في صياغة المشروع الوطني السياسي والثقافي وفي التطورات التي حدثت في مصر.هذا عن مؤلفات رفاعة في الفكر واللغة، أما ما أنتجه رفاعة وتلاميذه من مئات الكتب المترجمة إلى اللغة العربية ومن المصطلحات العلمية والثقافية فيعد من مفاخره فقد اختار رفاعة لتلاميذه بعض الكتب التاريخية وكتب سير العظماء والفلاسفة لترجمتها ومن ذلك نذكر تاريخ الفلاسفة اليونانيين، وبداية القدماء وهداية الحكماء، والذي يتضح من تقديم رفاعة له حبه للتاريخ حيث يقول «يجب طرق التاريخ بالهمة والفكر[4]، لما أنه يجود بذكر ما جرى عليها لنسيان. ولولا أن مصباح التاريخ هو الاستصباح لأصبح ما مضى هشيما تذروه الرياح،فمنفعته عامة للخاصة والعامة، وهو مشير

---

[1] عبد المنعم إبراهيم الجمعي،المرجع السابق ،ص5.

[2] جاك كرابس جونيور،المرجع السابق،ص106.

[3] البرت الحوراني ،المرجع السابق ،ص102.

[4] نفسه ،ص103.

كل أمير، وكل وزير، ،إذا سئل أجاب،وأبدى العجب العجاب » أما ما ترجمه رفاعة بنفسه فهو كثير ونذكر من ذلك كتابه الهام «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر » الذي ترجمه من الفرنسية إلى العربية واستمر رفاعة في جهوده التنويرية، فعمل محرر الجريدة الوقائع المصرية التي كانت تصدرها الحكومة واستطاع تحويلها من مجرد نشره رسمية إلى صحيفة أسبوعية تحاكي الصحف الأوربية وبعد وفاة مُحَّد علي تناقص دور رفاعة أيام عباس الأول) 1848 – 1854م (وأيام مُحَّد سعيد) 1854_1863م، فتدهورت أحوال المدرسة الألسن وأبعد رفاعة إلى السودان عام 1850م ومع ذلك ظل متمسكا بقلمه محبا لوطنه ثم ما لبث أن استعاد مكانته في عصر إسماعيل(1863 – 1879م)فإلى جانب عودته لإدارة مدرسة الألسن أسند إليه مهمة تحرير مجلة روضة المدارس ،التي كانت فتحا جديدا في تاريخ الصحافة وإلى جانب ذلك فلرفاعة فضل كبير في نهضة القانون في مصر ذلك أن الحكومة عندما بدأت في إصلاح النظام القضائي في عهد إسماعيل مهدت لذلك بتعريب القوانين الفرنسية[1].ومن ذلك يتضح فضل رفاعة وتلاميذه في إقامة صرح العدالة في مصر، وإلى جانب ذلك نذكر أن رفاعة كان شاعرا وأديبا له نفس حساسة، فله ديوان شعري تمت طباعته مرات عديدة. لقد حمل رفاعة لواء النهضة العلمية والأدبية في بلاده وكان منهجه العلمي أن ينقل إلى أبناء وطنه علوم أوربا في التاريخ والجغرافيا والرياضيات والفنون وقد اقترن ذلك بنزعة وطنية قوية كما اقترن بتهذيب النفوس وإرشادها إلى ما فيه رفعة الوطن ومجده ،وكانت له نفس شاعرة جادت بشعر تترقرق فيه معاني الوطنية كما كان له قلم يجمع بين الأدب العربي والثقافة الأوربية، ولم يقف إنتاجه عند التعريب بل قام بتأليف العديد من ا لكتب الممتعة في التاريخ والأدب والتربية، يضاف إلى ذلك ماأنتجه تلاميذه بتوجيهه من عشرات الكتب المترجمة إلى العربية، ومن آلاف المصطلحات اللغوية[2].

واستمر رفاعة يؤدي واجبه التنويري نحو وطنه حتى أدركته الوفاة في عام1873م وله من العمر خمسة وسبعون عاما.[3]

---

[1]عبد المنعم إبراهيم الجمعي ،المرجع السابق،ص4.

[2]صلاح هريدي ،المرجع السابق،ص500.

[3] نفسه،ص6.

ب_خلفاء رفاعة وتطور الثقافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر:

1_علي باشا مبارك:

الذي عمل على مصانعة الوالي عباس حلمي الأول لينقذ البقية من المدارس التي يتهددها عباس بالإغلاق كما استمر غرور الخديوي إسماعيل وطموحه في إصلاح التعليم والتوسع وتهيئة وسائل الثقافة لمن ينشدها من الناس . وعاش علي باشا مبارك في فترة شهدت فيها مصر أحداث سياسية مهمة،فبعد أن أتم تعليمه في مدرسة المهند سخانة بتفوق بالغ ،اختاره سليمان باشا الفرنساوي عام1844م و ذلك لدراسة الفنون الحربية في مدرسة خاصة أنشأها مُحَّد علي وعرفت باسم "المدرسة المصرية الحربية بباريس"[1]وعاد علي باشا مبارك من البعثة من البعثة عام 1850م فلم يلحق بحكم مُحَّد علي ولا بحكم إبراهيم باشا، ولحق حكم عباس وسعيد وإسماعيل ،وتوفيق وشمل عدة مناصب مهمة ،فكان علي مبارك وزيرا للمعارف والأشغال وأنشأ دار العلوم والكتب وكان علي مبارك يؤمن بالتعليم وبأثره في نهضة الشعوب وارتقاء الأمم ،وكان يحث عليه ويعمل على نشره ويرى أن تحرر المصريين لايتم إلا بدونه ،فحبه لمصر هو الذي دفعه إلى نشر التعليم وحمله على الكتابة والتأليف عام 1889م[2]،وفي نفس سنة تمكن من إصدار الأجزاء العشرين من كتاب "الخطط التوفقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة"وهو من أروع أثاره ،والخطط مجموعة من المعلومات والحقائق عن مصر تاريخها القديم والحديث وجغرافيتها ومدنها وقراها وترعها وهو يعتبر تكملة وتجديد لخطط المغريزي ولكتاب تخطيط مصر الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية .ومن أهم مؤلفاته أيضا قصة "علم الدين "التي تعتبر القصة الأولى في التاريخ الأدب المصري الحديث "وعلم الدين"قصة خيالية في أربعة أجزاء يدور فيها الحديث بين عالم مصري من الأزهر وعالم أوروبي من انجلترا ،كما قام أيضا بتأسيس بعض المنشأت العلمية الهامة مثل مدرج المحاضرات في دار الكتب بسراي الجماميز.[3]

---

[1] السيد مُحَّد الدقن ،تاريخ مصر الحديث ،د ط،مكتب وصف للآ لات الكاتبة 14ش أم غلام بالحسين ،ص349.

[2] نفسه ،ص350.

[3] نفسه ،ص351.

2_مُحَمَّد عبده1899_1908م:

ولد الشيخ مُحَمَّد عبده بقرية محلة بمركز شبراخيت من مديرية البحيرة وتعلم في كتاب القرية بعض مبادئ الدين ثم بعد ذلك أرسله والده إلى المعهد الديني بطنطا (المعهد الأحمدي) ومكث هناك حوالي ثلاث سنوات وبعدها انتقل إلى الأزهر ونال العالمية وفي أثناء وجوده بالأزهر وفد جمال الدين إلى مصر وتتلمذ على يديه وتعلم منه أصول الدين والفقه وعلم الأخلاق وعلم الرياضة[1] .

وتأثر بآراء جمال الدين الأفغاني[2] وخرج بالأزهر من جموده الفكري ،نادى بضرورة الإصلاح السياسي والديني وفي عهد الخديوي توفيق أسند أليه تحرير جريدة الوقائع ثم أصبح رئيس تحريرها، وكان من أحد رجال الحركة العرابية وان كان ظهوره لم يتضح إلا في المرحلة الثانية من الحركة وكان موقفه معروفا من أول الأمر من هذه الحركة أنه يؤيد الحكم الفردي المستنير وكان رأيه في ذلك أنه أقوى وأصلح في الحكم النيابي وخاصة أن مصر في ذلك الوقت لم يكن فيها متعلمون كثيرون ولم يهيؤا لمثل هذا العمل وبالتالي فقد كان يعارض حركة الجيش لان مثل هذه الحركة في رأيه ستجر على البلاد ويلات الحرب وبالتالي ستؤدي إلى تدخل واحتلال لأجنبي[3].وبعد فشل الحركة العرابية نفي مُحَمَّد عبده إلى باريس وهناك التقى مع أستاذه جمال الدين الأفغاني وأنشأ جريدة" العروى الوثقى" والتي تتضمن بإنشاد المصريين والمسلمين بالوقوف ضد الاحتلال الإنجليزي في مصر وبالفعل استطاع أن يخرج القضية من حيز مصر إلى الجامعة الإسلامية باعتبارها جامعة تضم الشعوب الإسلامية.وتمكن هذه الجريدة من النجاح في إثارة الشعوب الإسلامية ضد الإنجليز ولكنها خشيت على نفسها من مهاجمة الجريدة ضدها وأدى ذلك إلى أن أصدرت أمرا بمنع دخول هذه الجريدة إلى مصر والسودان

---

[1] صلاح أحمد هريدي ،المرجع السابق ص328.

[2]جمال الدين الأفغاني :1836_1897م مُحَمَّد بن صفدر الحسيني جمال الدين ،فيلسوف الإسلام في عصره وأحد رجالالنهضة،تلقى العلوم العقلية والنقلية تتلمذ على يد مجموعة من الشيوخ،اشتهر بحركته الإصلاحية الدينية والسياسية،قام بعدة رحلات كما أنشأ جريدة العروى الوثقى مع رفيقه مُحَمَّد عبده ومن أهم أثاره:تاريخ الأفغان.للمزيد:أنظر ،عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ،ج 3،دار المثنى ،بيروت:د ت،ص154_155.

[3] صلاح أحمد هريدي،نفسه،ص329.

والهند ،ويعتبر عام 1889م عاما مهما للشيخ مُحَّد عبده وفيه قرر اعتزال الحياة السياسية عموما وذلك اثر عودته لمصر وكرس نفسه لخدمة الدين والإصلاح الديني ،وفي سنة 1889م عين مفتيا للديار المصرية وكان موضع احترام جميع المصريين عامة كذلك قام بإصلاح النظم التعليمية في الأزهر ومعه الحركة القومية والفكرية في مصر[1] .

3_ عبد الله النديم :

يعتبر من أهم الشخصيات التاريخية في مصر بصفة عامة والحركة العرابية بصفة خاصة فكان المدافع عنها وعضوا فيها[2] ،ولد عبد الله النديم في الإسكندرية في أسرة متوسطة والتحق بمدرسة مسجد الشيح إبراهيم وكان ذكيا ينظم الشعر والزجل كما كان خطيبا ثائرا وكان يميل إلى التنكيت وعلى الرغم بلاغته وحبه للأدب فقد عمل موظفا في التلغرافات ثم أصبح ناظرا للمدرسة الخيرية الإسلامية وفي منتصف عام1881م ترك مهنة التعليم وعمل في مجال الصحافة وانتقل إلى الإسكندرية واصدر صحيفة أسبوعية اسمها" التنكيت والتبكيت" وهي كما نرى في ظاهرها الهزل وفي باطنها الجد تتناول الموضوعات الهامة بصورة سخرية واستهزاء وفي أثناء ذلك ظهرت الحركة العرابية فرأت فيه خير داع لها لماله من قوة الأسلوب وطلاقة اللسان ،وقد صادفت هذه الحركة هوى في نفسه واندفاع إليها ولم يتردد في التنقل إلى القاهرة وأخرج صحيفة أخرى اسمها "الطائف"وسخر كل إمكانياته لنجاح هذه الحركة ولكن باءت بالفشل وقبض على جميع أعضائها إلى عبد الله نديم فقد هرب وظل متخفي لمدة تسع سنوات يجول من مكان لأخر متنكرا في أزياء مختلفة ،واصدر أيضا مجلات أخرى مثل مجلة "الأستاذ" ومن هنا يمكننا القول بان عبد الله باشا صاحب الرسائل الأدبية والبحوث في أدب الرحلات والثقافة العربية والذي نجح في جمع مجموعة من الأمثال[3] .

المطلب الثاني:التعليم في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي :

---

[1] صلاح أحمد هريدي ،المرجع السابق، ص329.

[2] أحمد أمين زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،د ط، دار الكتاب العربي ،بيروت ،د ت،ص2_3.

[3] صلاح أحمد هريدي ،نفسه،ص321.

لما تولى مُحَمَّد علي الحكم كانت الأوضاع الثقافية والفكرية متردية،وكان حوالي مائتين من الناس لا يعرفون القراءة والكتابة ،لهذا خلال توليه الحكم اهتم بنشر التعليم لأنه الواجهة المضيئة لعصر مُحَمَّد علي وذلك فقد اعتمد على تأسيس عدة مدارس :

1_المدارس الابتدائية:

تم إنشاء خمسين مدرسة ابتدائية في مختلف أنحاء البلاد ،وكان فيها عدد الطلبة إحدى عشر ألفا تقريبا وقد عرفت القاهرة أربع مدارس،والإسكندرية مدرسة واحدة أما للعدد الباقي فإنه شمل القطر المصري وذلك لنشر التعليم بين طبقات الأمة [1]،وشمل التعليم ابتدائي حوالي 27مادة وحدد عدد التلاميذ في كل من مصر والإسكندرية نحو حوالي 200تلميذ ،وفي كل مدرسة من المدارس الأقاليم 100 تلميذ ومعظم المدارس الابتدائية أنشئت سنة 1837م أو بعدها .ومن بين أسماء المدارس التي تم إنشائها في عصر مُحَمَّد علي نذكر منها:

الشرقية :مدرسة الزقازيق ومدرسة العزيزية ومدرسة بلبيس.وفي منطقة الجيزة: مدرسة الحلوان ،أما منطقة أسيوط: فيوجد بها 7مدارس منها مدرسة أسيوط ،ومدرسة الساحل[2] .

ولقد لقيت معظم المدارس الابتدائية في أواخر عهد مُحَمَّد علي بإلغائها وذلك لأن الحكومة كانت تنفق على التلاميذ من مسكن وغذاء وملبس أي كانت مجانية مما أرهق كاهل الخزينة المصرية مما أضطر إلى إلغاء معظمها ،وقد ذكر كلوت بك بأن عدد التلاميذ بمدارس القطر المصري بلغ حوالي 9000تلميذ والذي كانت الحكومة تتولى نفقاتهم [3].

2_ المدارس الحربية والبحرية :

أ_مدرسة أسوان :هي أول مدرسة حربية تأسست في فترة مُحَمَّد علي باشا [4]والحق بها ألف من مماليك مُحَمَّد علي وكبار الموظفين والضباط ،ثم انتقلت بعد ذلك إلى أسنا ،وكان من بين

---

[1]عمر الاسكندري وسليم حسن ،تاريخ مصر من الفتح العثماني الى الوقت الحاضر ،راجعه الكبتن اج سفدج ،د ط،مكتبة مديولي ،القاهرة :د ت، ص156

[2]عبد الرحمن الرافعي ،المصدر السابق ،ص404_405_407.

[3]نفسه ،ص407.

[4]نفسه ،ص 333.

موظفيها وقت ذاك أحمد أفندي وهو من الرجال الفتيين ،ولقد بذل كل مافي وسعه من أجل ترجمة بعض الكتب المتعلقة بالفنون الحربية ،ولكن لجنة تنظيم التعليم التي كونت سنة1826_1827م قررت إلغائها[1] .

ب_مدرسة قصر العيني:أنشأت هذه المدرسة سنة 1825م وهي مدرسة إعدادية حربية وكان عدد طلبتها نحو 500تلميذ ونقلت هذه المدرسة إلى أبي زعبل بعد أن خصص قصر العيني لمدرسة الطب كما يوجد بها مكتبة تحتوي على 15000مجلد سنة1837م[2].

ج_مدرسة المشاة:

أنشئت هذه المدرسة سنة 1820م ووضعت تحت قيادة سيف،وكان يوجد بها نحو400طالب قسموا إلى ثلاث بلوكات ، يتعلمون فيها التمرينات الحربية واللغات العربية والتركية والفارسية[3]وفي سنة 1821م نقلت إلى أسوان ثم إلى دامياط سنة 1834م[4] وكان ناظرها ضابط من القاطعة البيمونت بإيطاليا وإسمه المسيو "بولونيتي "كان من ضباط الإمبراطورية النابليونية أما في سنة 1841م فقد تم نقلها إلى أبي زعبل[5].

2_المدارس البحرية :أنشات في عصر مُحَّد علي مدرسة بحرية في الإسكندرية لإعداد الجند للأسطول ولكنها ألغيت بعد سنة 1836م[6].

3_ المدارس العالية والخصوصية :

أ_ مدرسة الهندسة :أنشأت هذه المدرسة سنة 1819م بالقلعة ،وهي أول مدرسة عالية أنشأت في عهد مُحَّد علي وكان التعليم فيها بالمجان ،وبلغ عدد التلاميذ فيها حوالي 80تلميذ وكانت الحكومة تؤدي رواتب شهرية لتلاميذها ،وكان جل الأساتذة من الأجانب ،ولكن مع

---

[1] جمال الدين الشيال ،المرجع السابق،ص29.

[2] عبد الرحمن الرافعي ، المصدر السابق ،ص333.

[3] نفسه ،ص333.

[4] جاد طه ،المرجع السابق،ص66.

[5] عبد الرحمن الرافعي،نفسه،ص333.

[6] جمال الدين الشيال ،نفسه ،ص31.

مرور الوقت بدأ الأساتذة المصريين العائدون من الخارج في مساهمة في التدريس، وتم إنشاء هذه المدرسة وذلك لحاجة مُحَمَّد علي لمهندسين من أجل العمران والمنشآت [1].

وكان التعليم فيها باللغة العربية والتركية فقد كان تلاميذها من أبناء البلد ومن أبناء مماليك الباشا وهؤلاء لا يعرفون العربية ،لأنهم كانوا جميعا يتعلمون اللغة الإيطالية [2]، ثم تلتها في سنة 1834م مدرسة أخرى للهندسة في بولاق، وكانت هذه المدرسة من انجل وأنفع المدارس التي أنشأها مُحَمَّد علي.[3]

ب_مدرسة الطب :تأسست بأبي زعبل سنة1827م لوجود مستشفى العسكري هناك ،حتى يتمكن الطلاب في هذا المستشفى من التدريب ،وكان الغرض من إنشاء هذه المدرسة هو ترقية هذا الفن في البلاد[4]،ولقد تولى إدارة المدرسة والمستشفى الدكتور " كلوت بك"[5] بك"[5] ،فاختار لها نخبة من الأطباء الأوروبين ومعظمهم من الفرنسيين ، ولما كان الطلاب يجعلون اللغة الفرنسية ، فقد عين أهم مترجمون لترجمة المحاضرات من الفرنسية إلى العربية [6]،وقد ألحق بها مدرسة لدراسة الصيدلة ، وأخرى للقابلات افتتحت عام 1832م[7] .

ج_مدرسةالصيدلة:

أنشئت بعد مدرسة الطب البشري بثلاث سنين ،أي سنة1830م وكان مكانها في القلعة ،ثم ألحقت في نفس السنة بمدرسة الطب بأبي زعبل إجابة لرغبة كلوت بك[8].

د_مدرسة الألسن:

---

[1] إسماعيل سراج الدين ،المرجع السابق،ص79.

[2] جمال الدين الشيال ،نفسه ،ص26.

[3] جاد طه ،نفسه،ص61.

[4] عمر الاسكندري ،سليم حسن،المرجع السابق ،ص156.

[2] كلوت بك:ولد بفرنسا عام1793موله الفضل الكبير في النهضة الطبية الحديثة في مصر ،بذل جهود كبيرة في مقاومة الطاعون الذي حل بالبلاد سنة1835م.للمزيد أنظر عبد الرحمن الرافعي ،المصدر السابق،ص402.

[6] جاد طه ،المرجع السابق ،ص62.

[7] إسماعيل سراج الدين ،المرجع السابق،ص80.

[8] عبد الرحمن الرافعي ،نفسه ،ص333.

وافق مُحَمَّد علي باشا على اقتراح رفاعة رافع الطهطاوي ،وذلك من خلال إنشاء مدرسة الألسن والتي تم تأسيسها سنة1832م بالأزبكية ،وعرفت في أول الأمر بمدرسة الترجمة ثم أطلق عليها مدرسة الألسن وأصبح رفاعة الطهطاوي ناظر لهذه المدرسة وكان عدد التلاميذ في العام الأول خمسين تلميذ أتم ازدادت الأعداد في السنوات التالية .ويعتبر بعض المؤرخين أن هذه المدرسة هي بمثابة أكاديمية لنشر الثقافة في مصر ،فقد كانت تدرس فيها اللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية والإيطالية والإنجليزية ،الفارسية ،التركية بالإضافة إلى الآداب والتاريخ والجغرافية [1].

4_التعليم في عهد الخديوي إسماعيل باشا:

كان التعليم في عهد الخديوي إسماعيل واجب قومي ،ويجب على الحكومة والأمة بالتعاون وذلك لنشره في كافة أرجاء مصر .وأغتنم علي مبارك هذه الفرصة،وهي تعبئة شعور الأمة نحو القيام بالتعليم وذلك من خلال تقديم مشروع للخديوي يقتضي فيه بتحسين القراءة والخط وفي سنة1863م وافق الخديوي على اللائحة التي قدمها علي مبارك وصدق عليها في نفس السنة وكان من نتائج هذه اللائحة أنه تم إنشاء ديوان المدارس.أما فيما يحص المدارس المركزية فقد كانت تتبع نظام داخلي مجاني ،ولكن منذ سنة1872م فقد فرضت رسوم دراسية بسيطة على التلاميذ،وبدأبها النظام الخارجي ولكن في حدود.ولقد عرض علي مبارك على إتباع نظام المدارس الأوروبية والذي ينص على إبطال مبدأ المجانية وتكليف الأهالي بالإنفاق على أولادهم .أما تعليم البنات فلم يكن هناك مدارس لتعليم البنات قبل عصره،فقد أنشئت أول مدرسة لتعليم البنات وهي مدرسة السيوفية سنة1873م[2] وقبل أنها فتحت بعد دعوة رفاعة الطهطاوي لتعليم البنات وذلك من خلال كتابة الشهير المرشد الأمين للبنات والبنيين والذي ذكر في الفصل الثالث على تعليم البنات والصبيان إلى جانب ذلك على البنات تعليم القراءة والكتابة والحساب وهذي لكي يكتسب أدبا ومعارف وخروجها من حيز الأعمال والأشغال .والدعوة إلى النهضة المرأة عصر الخديوي إسماعيل باشا ترجع إلى رفاعة الطهطاوي

---

[1] جاد طه،المرجع السابق،ص62.

[2] سامية حسن الساعاتي ،المرأة والمجتمع المعاصر،دط،دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع ،مصر:2007م،ص134.

ويرجع أول إنشاء لهذه المدرسة إلى زوجة الخديوي إسماعيل باشا "تشم أفن خانم أفندي "على نفقتها الخاصة[1].

5_الجمعيات في مصر:

شهدت مصر عددا من الجمعيات الخيرية والأدبية والاجتماعية منها الجمعية الخيرية وأول جمعية مصرية تأسست سنة 1835م لطباعة الكتب المتصلة بالشرق ونشرها، كذلك عرفت مصر تأسيس جمعية أدبية سنة 1842م وذلك لطبع النصوص الهيروغليفية ونشرها وتم طبع حوالي كتابا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي [2].كذلك قام إبراهيم المويلحي بإنشاء جمعية خيرية سنة 1868م ،أما الجمعية الخيرية إسلامية فقد تأسست في الإسكندرية سنة1878م وكانت ذات أهداف علمية واجتماعية وكان الدافع من تأسيسها وهو ما كان المصريون يرونه من استئثار الأجانب بمرافق البلاد الاقتصادية وتأخر حال المصريين فاستهدفت فتح مدارس لتربية والتعليم ، كذلك تعود هذه الجمعيات بمسامة كبيرة في حركة الترجمة والنشر[3].

6_المسرح في مصر:

لقد عرف المسرح الازبكية بعد عهد مُحَّد علي باشا اهمال كبير،لكن بعد مجيئ الخيوي اسماعيل سنة 1867مبعدما كان في زيارة لمعرض باريس ،فاقدم على الازبكية لتكون على شكلها ،وبالفعل ثم له ذلك في مدة قصيرة فخرجت الازبكية نزهة من اجمل المنتزهات ومكان بديع يخلب الالباب ،واقام في الجهة الجنوبية من الازبكية مسرحين فخمين وهما: المسرح الكوميدي المصري ودار الاوبرا الخديوية[4] .

أ_مسرح الكوميدي الفرنسي:

---

[1]جاد طه ،المرجع السابق،ص63.

[2] حمد عبد الرحمن برج،التاريخ العربي الحديث والمعاصر ،د ط،مكتبة الانجلو المصرية:1974م،ص95.

[3]اسماعيل سراج الدين ،المرجع السابق،ص84.

[4]سيد اسماعيل ،تاريخ المسرح في العالم العربي ،القرن التاسع عشر،دط،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،مصر:2012م،ص35.

وهو أول مسرح يقام في منطقة الأزبكية وقد بدا الخديوي إنشاءه في 1867/11/22موتم افتتاحه في 1868/01/04متحت إدارة الخواجا منسي ،وسرعة إتمام هذا المسرح ،تم إجراء تمثيل مسرحي كإعانة للفقراء وذلك سنة 1869/03/24م،وتم تحصيل حوالي 2200فرنك فرنسي كذلك تم إلقاء قصيدة باللغة الإيطالية والتركية والعربية تحتوي على مدح الخديوي إسماعيل ومن بين المسرحيات التي كانت تقام نذكر :"الموافق والمخالف"و"أسرار الصيف"[1].

ب_مسرح حديقة الأزبكية:

تم بناءه في ماي 1869م وكان هذا المسرح نشاطه محدودا مقارنة مع نشاط مسرح الكوميدي منذ افتتاحه حتى عام 1880م،ولكنه لم يدم طويلا لأنه في عام 1884م تم إغلاقه بسبب وباء الكوليرا في مصر، ثم أعيد فتحه ومن بين المسرحيات التي أقيمت به رغم قلة نشاطه نذكر:مسرحية "عجائب البخت"في عام 1887/05/05م،ومسرحية"أنيلادي ماسيمو"في 1887/07/09م وكان يقام كذلك بهذا المسرح حفلات موسيقية منها حفلة موسيقية لجوق السوديانتية إستانبول في 1887/11/22م[2].

ج_دار الأوبرا الخديوية:

افتتحت في نوفمبر 1869م ولقد تطرقت إلى عدة مسرحيات وموضوعات أجنبية وموضوعات دينية شرقية،ولقد تميزت دار الأوبرا كغيرها من المسارح ،التي كان لها نشاط في عهد إسماعيل الخديوي وذلك من خلال العروض والحفلات ،وفي 1871/01/18م عرضت الأوبرا باليه "براهما"وكانت هذه الحفلة بمناسبة عيد تقليد الخديوي للأريكة الخديوية[3].

وفي 1881/12/24ممثلت أوبرا "عايدة"والتي وضع قصتها التاريخية "ماريتباشا"وصاغها ونظمها الشاعر الفرنسي "كاميلدولوكل"مدير الأوبرا كوميك في باريس،كذلك عرفت عدة

---

[1] سيد علي اسماعيل،المرجع السابق ،ص37_38.

[2] نفسه ،ص58.

[3]اكمل الدين إحسان أغلي،المرجع السابق،ص48.

روايات منها رواية "رافاس"ورواية"تيموسكينية"[1].ومن هنا يمكننا القول بأن المسرح المصري خلال القرن التاسع عشر الميلادي عرف ازدهار خاصة في فترة الخديوي إسماعيل باشا وذلك من خلال تأثره بالطابع الفرنسي بعد زيارته لمسرح الفرنسي.

7_الصحافة:

أ_ الوقائع المصرية:

كان للصحافة التركية في مصر دورا رائد داخل العالم العثماني من حيث ظهورها [2]وكان أول ظهور للجرائد كان لجريدة "الوقائع المصرية" والتي كانت باللغتين العربية والتركية وصدرت هذه الجريدة سنة 1828م وكانت تصدر سنويا ثم أسبوعيا ودخلت الوقائع مرحلة جديدة من حياتها عندما قام رفاعة الطهطاوي بتحريرها سنة1848م ،وتمكن أولا من كتابتها باللغة العربية ثم باللغة التركية كذلك جعل كل أخبار مصر تتقدم ثم بعد ذلك تأتي أخبار واردة من الخارج مثل أخبار الدولة العثمانية ولقد نجح الطهطاوي في أن يثبت هذا النظام مدة عام ،ولكن الطبقة الحاكمة التركية أرغمته على التراجع عما جرى من إصلاحات[3].

واستمرت الوقائع المصرية في الظهور في عهدي عباس باشا وسعيد باشا ،ولكنها كانت في تدهور لذلك أمر عباس الأول أن يكون قراؤها الحائزين على رتبة فريق ،ورتبة مير ميران ورتبة مير لو،ورتبة مير الاي فقط،وبذلك حرمت مجموعة كبيرة من قراءتها كالعلماء والتلاميذ وأعيان مصريين في مختلف المديريات ،واحتجبت في عهد سعيد باشا لمدة تقريب من سنة يوليو 1861م إلى 19اغسطس سنة1862م[4].ومع مرور الوقت بدأ الخديوي إسماعيل في مصر بالتماشي مع النهضة وقام بإصدار أمرا في 22نوفمبر 1865م بترتيب قلم الوقائع حيث بدأت عهدا جديدا من الالتزام والتقدم .أما العصر الذهبي لجريدة الوقائع فانه يبدأ مع الشيخ مُحَّد عبده لأنه المحرر الأول لصحيفة عربية رسمية ،ونهض بصحيفة من جميع النواحي

---

[1]سيد علي إسماعيل ،نفسه،ص63.

[2]اكمل الدين إحسان أغلي ،نفسه،ص296.

[3]عمر عبد العزيز ،تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517_1922م) د ط،دار المعرفة الجامعية 2002،ص352.

[4]ابراهيم عبده ،تاريخ الوقائع المصرية،ط2،مطبعة التوكل ،القاهرة:1943م،ص85_86.

الاجتماعية وغيرها إذ تبين من تحليل إعداد الصحيفة في السنة التي سبقت وإنها قد أصدرت 103 إعداد لم تظهر فيها مقالات سياسية أو اجتماعية أو ثقافية سوى 9 إعداد فقط ،بينما صدر من الصحيفة الأولى من أكتوبر (1880إلى 1881م) 308 إعداد لم يخل عدد واحد من المقال أو أكثر يتناول جميع النواحي[1] .

ب_ روض المدارس:

صدر العدد الأول من مجلة روض المدارس في يوم 15محرم 1287هـ الموافق ل 17أفريل 1870م،أي صدرت بعدما يقرب من سبع سنوات من حكم الخديوي إسماعيل ،وكانت صحيفة رسمية مدرسية تعليمية [2]،وكانت في الوقت نفسه تعبر عن النهضة التعليمية وعن الاتجاه الإسلامي والسنة النبوية ،ومن سمات الصحافة الإسلامية في "روض المدارس"اهتمامها بأخبار المسلمين في الدول الأخرى واعتناق غير المسلمين للإسلام ،ومن خلال ما نشرته في العدد 22من السنة السابعة عن موضوع مترجم من صحيفة (تقويم وقائع) التي تصدر في تركيا "مؤداه أن حضرة مولانا شيخ الإسلام بدار السعادة ورد إليه خطاب من احد ذوات ألمانيا المشتهر بالفضل والكمال يتضمن طلب المساعدة في دخوله في الدين الإسلام ،واجب من إدارة الفتوى بخطاب سام ،وهو فيها ثرى العبارة وهذه ترجمته "وفيه تشرح إدارة الفتوى للألماني الذي يريد الدخول في الإسلام مبادئ هذا الدين وكيف يتعلمه ويعمل به "[3]،كذلك تعتبر روض المدارس من أولى الصحف العربية التي تشرح حقوق المرأة في الإسلام ووجوب تعليمها وتربيتها وتهذيبها لتقوم بواجباتها في النهوض بالمجتمع الإسلامي،وكان في ذلك في الفصول التي نشرها رفاعة الطهطاوي بعنوان: "المرشد الأمين للبنات والبنين"والتي بدا نشرها في العدد 16من السنة الخامسة يوم السبت غاية شعبان سنة1291هـ وجمعته في الفصول بعد ذلك في كتاب كبير[4].

---

[1] سامي عبد العزيز الكومي ،الصحافة الإسلامية في مصر في القرن التاسع عشر ،د ط، دار الوفاء ،المنصورة، د ت:ص23.

[2] نفسه، ص28_29.

[3] نفسه ،ص34.

[4] نفسه،ص35.

ج_ التنكيت والتبكيت:

صدرت هذه الصحيفة من قبل عبد الله نديم باشا في يونيو سنة 1881م حتى اكتوبر1881م [1]وهي صحيفة أسبوعية ، كتبها بالعربية الفصحى والعامية ،ليقرأها العام والخاص على سواء ، ولقد برع نديم باشا في عرض الإصلاح الاجتماعي ممّا جعله بلا منازع صحفي القرن التاسع عشر فنشر أزجالا اجتماعية في "التنكيت"نالت شهرة واسعة في ذلك الوقت ،فقال في الإفرنجة والتقليد للغربيين ونبذ التقاليد المصرية والتعليم الأمر الذي جلب الخراب للكثير من الأسر[2].وبعد أن انتقل إلى القاهرة غير اسم صحيفته إلى "الطائف "(تيمنا باسم البلدة المشهورة بالحجاز)وأخرجها بثوب جديد ،وتركزت سياستها في مواصلة الكتابة عن تاريخ الخديوي إسماعيل بسبب اهتمامه بالدول الأوروبية وشرح حالة البؤس التي كان يعيشها الفلاح المصري ،ودعا أيضا إلى الدفاع عن الثورة العرابية[3].

د_جريدة واد النيل:

هي مجلة سياسية علمية أدبية شعبية أنشأها عبد الله أبو السعود سنة1866م وهو ناظر للمدرسة الكلية التي أسسها مُحَمَّد علي باشا في القاهرة وكان أول صحفي سياسي ظهر في مصر الحديث وظلت هذه الصحيفة تصدر مرتين في الأسبوع حتى ألغيت بأمر الحكومة سنة 1870م[4].

وبعد إلغاء جريدة النيل ظهرت سنة 1869م صحيفة أخرى تسمى "نزهة الأفكار"والتي اشرف على إصدارها إبراهيم بك المويلحي وعثمان جلال ولكن ما كاد يصدر العدد الثاني منها حتى أمر الخديوي إسماعيل بإلغائها ويقال بأن شاهين باشا التركي ناظر الحربية هو الذي نصحه بذلك خوفا من الاضطراب الذي تحدثه في النفوس[5].

---

[1]عمر عبد العزيز،المرجع السابق،ص355.

[2]نفسه،ص356.

[3]نفسه،ص357.

[4]جاد طه،المرجع السابق،ص141.

[5]عمر عبد العزيز،المرجع السابق،ص355.

المطلب الثالث :التحولات الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي :

1_العمران (البناء و التشّيد):

تعد فترة مُحَّد علي وأسرته من الفترات المهمة في تاريخ العمارة المصرية ،حيث مثلت في مضمونها نقطة تحول وفترة انتقالية بين العمارة المصرية في العصور الإسلامية وبين العمارة في العصور الحديثة

أ_القصور:

ومن أهم المظاهر العمرانية التي ظهرت في مصر وجود قصور تميزت بطابع الأنماط التركية الألبانية في العمارة المحلية ،وكانت تتميز بزخارف غربية ،نظرا لاستقدام العديد من المهندسين والعمال الأجانب من العمائر وكان اغلبهم من الدولة العثمانية وأوروبا ،فظهر ما يعرف بالطراز الرومي ولكنه كان يطغى الطراز العثماني بوجه اخص وذلك نتيجة استعانة مُحَّد علي بالمهندسين الأتراك[1].

ومن بين القصور التي أنشاها في القلعة وهو" قصر الجوهرة" الذي كان مقر حكمه في عهده ،وقصر شبرا في شمال القاهرة والذي أعيد تشيده سنة 1809م على ضفة النيل[2] ،كذلك من بين القصور التي أنشاها الخديوي إسماعيل قصر الرمل بالإسكندرية ،وهو بنى أيضا سريات العابدين والجيزة والقبة وحلوان الأنيقة والجميلة ،علاوة على ذلك ما جدد بناءه في سرايات رأس التنين وقصر النيل والقلعة والنزهة [3].وهو الذي بنى للأمراء وللأميرات قصور الباذخة وأقام في كل بندر من البنادر الصعيدية التي كان له فيها أملاك خاصة ،وتميزت هذه القصور والسرايات بالأبهة والبذخ فالرخام وحده الذي استعمل في تنسيق تلك السريات وتزينها كلف عدة ملايين من الفرنكات وبلغت نفقة النقوش والرسوم الداخلية في سريات الجيزة والجزيرة وعابدين نيفا ومليونين من الجنيهات ،واستنفدت البساتين التي أنشئت حولها

---

[1] شوكت مُحَّد لطفي عبد الرحمان القاضي ،العمارة الإسلامية في مصر (النظرية والتطبيق)رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعية اسيوط ،1998م، الصفحة 81.

[2]اسماعيل سراج الدين ،المرجع السابق،ص104.

[3]ا لياس الايوبي ،المرجع السابق،ص145.

،وكثرت فيها أنواع الأشجار الغريبة الثمينة ومختلف أنواع الأزهار والرياحين والورد والبحيرات بأسماكها المتعددة الأنواع ،نيفا وأربعين مليونا من الفرنكات[1]،أما الرياش والفرش فقد بلغت تكاليف الستارة الواحدة نيفا وألف جنيه،إلى جانب ذلك الأبسطة الثمينة والأرائك الذهبية والمرايات البلورية الصافية ،والزهريات النفيسة والكراسي العاجية ،والمقاعد المطعمة بالصدف والمحلاة باللؤلؤ والمرجان ،والطاولات الفضية ،بالإضافة إلى الأواني الفاخرة الكثيرة والمختلفة الذهبية والفضية ،والخزفية بديعة الصنع ،والمرقوم عليها كلها بماء الذهب حرف وهو الحرف الأول من اسم إسماعيل بالفرنجية (الفرنسية) وبالمجوهرات العديمة المثال من ماس ودرر وياقوت ،وزمرد وزبرجد ،وفيروز ،والتي كانت تقدر بنيف وأربعة ملايين من الجنيهات [2]،ومن هنا يمكننا القول بان القصور سواء من الداخل أو الخارج فإنها كانت فريدة من نوعها من حيث الطراز الفاخر و المتنوع من الأفرشة والأواني[3].

ب_ المساجد:

أنشأت في عهد مُحَمَّد علي عدة مساجد لأنه كان يهتم بتعليم لذلك بنى مسجده الكبير بالقلعة والذي أوصى أن يدفن فيه[4] ، واستعان لبناءه بالمهندس التركي يوسف بوشناق الذي بناه على نمط مسجد السلطان احمد بالأستانة ،وعهد بزخارف الخط فيه للخطاط التركي أمين أزميري،واقتبس المهندس قبة المسجد وزخارفه من العناصر الزخرفية التي شاعت في تركيا إبان القرن الثامن عشر ،مثل الزهور الملونة وعناقيد العنب في وحدات زخرفية مكررة،كذلك ادخل الفن الطراز الروكوكو المنتمى لطراز المعماري الأوروبي،إلى جانب ذلك عرفت فترته كذلك مسجد الرفاعي بميدان صلاح الدين[5].

ج_ الشوارع:

---

[1] ا لياس الايوبي ،المرجع السابق ،ص146.

[2] سعادة مُحَمَّد علي باشا مبارك،الخطط الجديدة لمصر القاهرة ،ج1،ط1،مطبعة بولاق1306:هـ،ص88.

[3] الياس الايوبي ،نفسه،ص147.

[4] عبد الرحمن الرافعي ،المصدر السابق،ص511.

[5] اسماعيل سراج الدين،المرجع السابق،ص104.

أما فيما يخص الشوارع فقد أقام مُحَمَّد علي باشا بعض الخدمات والتي تمثلت في تنظيفها وإنارتها ،إلى جانب ذلك وضع خطة تستهدف توسيع الشوارع أو فتحها ،وفي السنة 1847م بدأ بترقيم شوارع القاهرة تحت إشراف أربعة من ضباط المدفعية ،وعرف عهد إسماعيل الخديوي كذلك خدمات مست الشوارع ومن أهم ما خط إسماعيل الخديوي من شوارع نذكر شارع إبراهيم الممتد من مدرسة السبع بنات إلى ترعة المحمودية ،وشارع الجمرك ،وشارع المحمودية ،بالإضافة إلى ست شوارع أخرى ممتدة بين سكة باب شرقي والطريق الحربي الذي كان يحيط بالمدينة ،كما أوصل جهة الرمل بالمدينة بخط حديدي ،وجعلها مصيف القطر المصري ، وفتح شارعا عظيما يمتد من باب رشيد إلى حدود الملاحة بزمام المندرة ،مارا بالسراي الخديوية بالرمل ،طوله من باب شرقي إلى السراي 400مترا وعرض 12مترا ،ومن السراي إلى الملاحة 4000متر وعرضه 8أمتار ،ومد طريقا من الملاحة إلى ترعة المحمودية ،و أنشأ كذلك حديقة النزهة على ترعة المحمودية ،وجعلها منتزه هاما[1].

الحمامات:

كانت بالقاهرة أكثر من مائة حمام ،وكان الأهالي يكثرون من الذهاب إليها خاصة في فصل الشتاء مرة واحدة في الأسبوع ،أما في فصل الصيف فإنهم يغتسلون في النيل ،وتعتبر الحمامات عن أماكن يلتقي فيها الناس في الأسبوع ،وكان يوجد بكل حمام بهو ينفذ إليه النور والهواء من فتحة عريضة بالسقف ،وكان في كل وسط يوجد عادة نافورة تنبثق في حوضها وتمتد حولها الجدران ،كذلك يوجد بها عدة غرف متتاليه ،محلات بفسيفسات من المرمر يحفضها الماء دائما وجد نظيفة ،وجميعها تسبق قاعة كبيرة مستديرة جدرانها مكسوة بالأسمنت ،وذات سقف على هيئة قبة خفيفة تزينها قطع من الزجاج الملون تنشر نورا ،أيضا تتصل بهذه القاعة عدة غرف صغيرة تحتوي بعضها على مقاعد روخامية في وجه صنابير تصب الماء البارد والساخن والبعض الأخر يحتوي على حوض صغير لوضع الماء،أما فيما يخص قاعة الجلوس بعد الاستحمام فإنها تحتوي على عدة مصاطب مفروشة بالسجاجيد والنمارق وأرائك لكي يستلقي عليها المستحمون في فترة التدليك أو للراحة،أما بالنسبة

[1] عبد العظيم رمضان ،تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث ،د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1993،ص105.

للملابس فهي عبارة عن فوطة بسيطة تعقد حول الجسم وقبقاب خشبي [1]،أما الخدمات التي كان يحصل عليها المستحمون فهي تقديم أشهى الأطعمة و تنوع في الموسيقى والغناء،وكانت المرأة تحصل على نفس الخدمات التي يحصل عليها الرجل داخل الحمام[2].

2_المناسبات الدينية والإجتماعية:

أ–الأعياد:

تتمثل في أعياد إسلامية الكبرى ،والقومية العامة ،كعيد وفاء النيل ،وتذكار يوم الجلوس السنوي، فيرى الناظر في العاصمة قائمة قاعدة تجتاز شوارعها المواكب الفخمة والعربات الفاخرة ،والرايات والأشاير ،والطبول والزمور وجماعات أصحاب الرتب والنياشين بملابسهم الذهبية الساطعة ونياشينهم المتلألئة ،وأوسمتهم الفاخرة يفدون على سراي عابدين زرافات ،وكانت الموسيقات تصدح بأنغامها الشجية في كل حي من الأحياء ،وتدوي المدافع دويا متعاقبا ،وتجري استعراضات الجميلة إما في ساحة عابدين الفسيحة وإما بالعباسية[3] .

أما المولد النبوي ،فإنه من بين تلك الأعياد التي تكون لياليه إحياء بديع ،فتنتشر في الفضاء السرادقات الفخمة المزدانة بأفخر الرياش،لاسيما سرادق الخديوي وسرادقات رجال حكومته ،وتتلى الصلوات وتقام الأذكار في الخيام وتعم الفيرضات الخديوية للمعوزين والفقراء ،فتمد لهم الأسمطة ليلا،ويأكلون ما طاب ولذ وتشعل الصواريخ والألعاب النارية على أبدع الأشكال ومختلف الأنواع.أما عيد الجلوس ،فإنه كان يمتاز بمرور عشرة آلاف درويش ،بأشاريهم ورايا‌تهم أمام القصر بعابدين بضجة وعجة عجيبتين تستمران ساعتين وباستعراض فخم يقام بالعباسية وتأتي له جماهير مختلفة من كل الأماكن ،ناهيك بما كان يقام في تلك الأعياد من الولائم ،وما ينحر وما يوزع من الصدقات ،وينعم به من النعم ،ويجاد به من

---

[1] جمال الغيطاني ،إدريس أفندي في مصر ،مذكرات الفنان والمستشرق الفرنسي بريس دافين في مصر ،د ط،القاهرة:القرن 19م،ص42_44.

[2] صلاح أحمد هريدي ،الحرف والصناعات في عهد مُحَمَّد علي ،تق،عمر عبد العزيز عمر ،د ط،دار المعارف الإسكندرية: 1985،ص60.

[3] الياس الأيوبي ،تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا إلى1879م،مج 2،د ط،مكتبة مديولي القاهرة،دت:ص133.

العطايا ،فما من مستخدم في القصور فإنه ينال الهدايا الثمينة المتنوعة ففئة الكبراء تمنح لها القصور والأطيان ،والجواري الحسان والجواهر الثمينة والجياد ،أما فئة المتوسطين فتقدم لها صرر النقود أو السيوف المرصعة والآنية الفاخرة والرياش الوثير،وأخيرا وهي فئة الأصاغر فتقدم لهم الجوائز من الخواتم والساعات والملابس والحلويات ،فيرى الناظر في ذلك اليوم الأقوام أو الناس على اختلاف مراكزهم الإجتماعية ينتظرون حلول الأعياد بمطامع مفتوحة وأعين مرفوعة ،فتجود أيدي الخديوي إسماعيل وأزواجه وبناته بما يشيع تلك المطامع ويقرّ تلك العيون[1].

ب_الرسميات:

وتتمثل في استقبال القناصل عند تعينهم ،فإن أخص ما كان يستوقف الأنظار فيها العربات الخديوية الخاصة تجرها أجاويد الجياد تارة ستة وتارة ثمانية وكلها من لون واحد وتحف بها كوكبات الفرسان بسيوف مشهرة ،فتذهب بمعتمدي الدولة إلى حيث يستقبلهم العاهل المصري وهو في وسط حلقة من وزرائه واخصائه ،يأخذ سنا ملابسهم بالأبصار وتبهر جواهر النياشين المتلألئة على صدورهم الأنظار ،فبعد تبادل الخطب المعتادة وتتصافح الأيدي كان يصدر الأمر الكريم بالإنعام على الوافد بسيف من السيوف المرصعة الثمينة وحصان من أجاويد خيل الإسطبلات الخديوية العامرة[2].

ج_الأفراح والأعراس:

تتمثلت في وصف الأعياد التي أقيمت احتفالا بزواج الأمراء الثلاثة :توفيق وحسين وحسن أبناء الخديوي إسماعيل من الأميرات أمينة هانم بنت إلهامي باشا بن عباس الأول،والأميرة عين حياة هانم بنت الأمير أحمد باشا بن إبراهيم الأول ،والأميرة خديجة هانم بنت الأمير مُحَمَّد علي الباشا العظيم، وزواج أختهم الأميرة فاطمة هانم بالأمير طوسون بن مُحَمَّد سعيد تلك الأعياد ،وقد أقيمت ابتداء من15يناير 1873م،ودامت أربعين يوما كاملة باعتبار عشرة أيام لكل فرح منها ،ولا يزال ذكرها إلى اليوم يبهر تصور الذين رأوها وعاشوا أيامها

---

[1] إلياس الأيوبي،المرجع السابق ،ص133.

[2] نفسه ،ص133.

اللامنسية، فالشوارع المهمة وعلى الأخص ما كان مؤديا إلى القصر العالي مقر والدة الخديوي إسماعيل ،وإلى سراي الجزيرة مقر حفلات إسماعيل المفضل، وسراي القبة مقر والي العهد التي زينت بالنجف والفوانيس مختلفة الألوان على مسافات بضعة آلاف من الكيلومترات ووضعت في نهايتها أقواس نصر مختلفة الأنوار ،جعلوا في أعاليها طرقات رصعت بالشموع ،فسقطت ملايين الأضواء ،لتلألأ في الليل كأنها نجوم سطعت فجأة فقلبت الظلام نهارا وامتدت ستة أسابيع متوالية ومن أهم مكان يقدم أيام الحفلات جميع أنواع الشربات ،والمشروبات والحلوى المصنوعة على الطريقة الشرقية والغربية معروضة على مختلف الموائد،وأقيمت في أهم الميادين جوقات موسيقية أهمها تخت عبده الحمولي ،بلبل الأفراح ورب الطرب الشرقي على العموم ،فأخذت هذه تخطف الأسماع بالحان بديعة وأصوات رحيمة تجول سامعيها يتخيلون أنهم انتقلوا إلى جنة الخلد البهي[1].

[1] إلياس الأيوبي،المرجع السابق ،ص135.

المبحث الثالث:ملامح التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية ومصر

المطلب الأول:التواصل الاجتماعي والثقافي.

المطلب الثاني:التواصل اللغوي

المطلب الاول: التواصل الاجتماعي والثقافي:

1-المصاهرة :

دأب السلاطين خلال القرن التاسع عشر الميلادي على تزويج بناتهم واخواتهم وحفيداتهم الى كبار الدولة كوسيلة لتدعيم مركزهم ولبناء تحالفات ضمن ديمومة الاسرة المالكة ،وغالبا ما كانت الاميرة تسارع الى الزواج من احد اعيان الدولة بعد وفاة زوجها كي تبقى الاسرة الحاكمة على صلات وثيقة بأعمدة الحكم[1] ومن الامثلة على تلك المصاهرة تلك التي كانت بين مصر والدولة العثمانية .ورغم التقلبات السياسية بين الوالي والباب العالي فقد انتعشت العلاقات الثقافية المكثفة فيما بين القاهرة واستانبول ،وذلك في ظل بعض روابط المصاهرة بين العائلات الأرستقراطية التي تشكلت حول سراي استانبول وسراي مصر الذي اتخذ من طرز الحياة ومراسم البرتوكول باستانبول مرجعا اعلى له.وقد تواصلت العلاقات الاجتماعية والثقافية رغم موقف مُحَّد علي باشا من الدولة العثمانية وتمرده عليها ،ثم محاولات بعض افراد عائلته الاستقلال عنها وخاصة حفيده الخديوي اسماعيل باشا .وحرصت العائلة المالكة العثمانية وكبار رجال الدولة في استانبول على توطيد روابط المصاهرة وتقويتها بين الطرفين ،وفي هذا الامر امثلة عديدة لتلك الروابط والتي كانت بدايتها منذ العهد الاول والتي استمرت الى منتصف القرن العشرين .فكان اول زواج في ذلك العهد زواج الصدر الاعظم يوسف كمال باشا(1808-1876م) بابنة مُحَّد علي باشا زينب هانم (1826-1886م) وزواج حفيده ابراهيم الهامي باشا (ابن الوالي عباس باشا)بالأميرة منيرة (1844-1862م)ابنة السلطان عبد المجيد في عام 1858م[2]

---

[1] دونالد، كوارترت :المرجع السابق ،ص 191

[2] احسان اوغلي: المرجع السابق،ص28

2-المطبخ التركي داخل السراي المصرية:

اصبح المطبخ الإسطنبولي على مر الزمن ،بفضل السرايات والقصور ،مطبخا لصنع انفس واجود الاطعمة في العالم [1]كان المطبخ التركي من ابرز مظاهر تأثير الثقافة التركية داخل السراي المصري ،وراح يمتد ذلك التأثير من السراي لينتشر ويتسع نطاقه في المدن الكبرى وقطاعات المجتمع المختلفة .فقد كان هناك اطعمة يقوم الطباخون الاتراك في مصر بإعدادهامحاكاة للسراي العثماني في استانبول،وهذه الاطعمة كان يجري تقديمها في السراي المصري بأسمائها التركية ،فكانت النتيجة ان دخلت بين اطعمة الحياةاليومية في المجتمع المصري ،ولازالت هناك حتى اليوم كلمات مثل :كباب ،كفتة، شيش كوفته، شيش طاووقبوغاشة ،بقلاوة[2] ،دولمة، يخني ،تورلي ، طورشي ، وما تعنيه تلك الكلمات بالنسبة للأتراك هو نفسه ما تعنيه لدى المصريين ،فهي تعبر عن نفس المعنى وعن طعم يشبه طعمها لدى الاتراك .وكما ذكرنا في الكتب المترجمة من التركية الى العربية فان الدليل الابرز على اعجاب المصريين بالوان الاطعمة التركية واقبال قطاعات عريضة منهم عليها هو ترجمة الكتاب التركي (ملجأ الطباخين)الى اللغة العربية وظهور عدة طبعات منه (1887 و1899م) فقد حظي المطبخ التركي او المطبخ العثماني في مصر بأهمية كبيرة ،بل وتعدى الامر مسألة الاعجاب به وتطبيقه الى التعريف به في اوروبا .ومن ابرز الامثلة على ذلك ان ترابي أفندي وهو احد رجال المقربين من الخديوي اسماعيل باشا قام بوضع كتاب بالتركية والانجليزية تحت عنوان مجلة الاطعمة العثمانية (مجموعة اطعمة عثمانية).[3]

---

[1] يلماز، اوزتونا : المرجع السابق،ص582

[2] يعود اصل تسمية بقلاوة حسب ما أفادت به الروايات انه كان للسلطان العثماني عبد الحميد طباخة اسمها لاوة وهي التي ابتدعت هذه الحلوى وعندما تذوقها السلطان لأول مرة قال لضيف عنده "باق لاوة نه بايدي" اي انظر ماذا صنعت "لاوة"

[3] احسان اوغلي ،المرجع السابق،ص53

3-الموسيقى التركية في مصر:

وكان عزف الموسيقى التركية واداء الرقصات في السراي المصري سمة من ابرز السمات على تبني الثقافة التركية العثمانية ،وابتداء من عهد مُحَّد علي تضاعف الاهتمام بالموسيقى التركية اكثر من ذي قبل فبينما تم تشكيل الفرق الموسيقية العسكرية على الطراز الاوربي اقيمت المدارس التي تمارس تعليم الموسيقى من اجل الجيش ،واجريت الى جانب ذلك سلسلة من الاعمال بقصد ممارسة عزف الموسيقى التركية ونشرها ،وكان لإعجاب الموسيقيين العرب وحبهم للموسيقى التركية ان قام زكائيددهوروشن كام بتدريسها في القاهرة.[1] وتحولت الموسيقى التركية[2] الى جزء لا يتجزأ من حياة السراي المصري بعد ان حظيت باهتمام كبير وحماية ملحوظة من ابناء مُحَّد علي واحفاده وجري عزفها داخل السراي .وكان المعلمون يترددون على السراي لتعليم الموسيقى الشرقية والغربية للفتيات الشابات من ذوات الموهبة الموسيقية والصوت الجميل .وفي ايام الاعياد والاحتفالات والافراح المختلفة كانت تقام او تعزف قطع الموسيقى التركية والعربية والغربية،ولاشك ان العهد الذي سادت فيه الموسيقى التركية في مصر حتى طبعت به الذوق الموسيقي بها هو عهد الخديوي اسماعيل باشا[3] فقد عرف بشغفه للفنون الجميلة وخاصة الموسيقى .فأقام دار الأوبرا التي كانت بمثابة الخطوة الاساسية نحو دخول الموسيقى الغربية الى مصر ،وفي عهده تضاعف الاهتمام بالموسيقى العسكرية التركية واتجهت الانظار أنداك الى فريق موسيقى المهتر التركي الذي[4] منها بسم "خانة" بينما يتكون الفصل التركي من عدد من المعزوفات والاغاني ذات المقام الواحد والتي يتخللها تقاسم للآلات الموسيقية كالقانون والعود والناي والكمان ،واصبحت" الوصلة" المصرية تتكون من بشرفثم يليه موشح من نفس المقام ،ثم تقاسيم ارتجالية يؤديها عازفوا العود

---

(1) يلماز،اوزتونا ،المرجع السابق،ص784

(2) للمزيد من التفاصيل انظر :احسان اوغلي : المرجع السابق،ج1،ص553-554-555

(3) لقد تضاعفت الاهمية التي حظيت بها الموسيقى في عهد الخديوي اسماعيل فقد أقيمت في قلعة القاهرة مدرسة تقوم بتنشئة العازفين على الموسيقا العسكرية ،والتحق بها تلاميذ كان اغلبهم من الترك والارمن والروم .ويتبين انه جرى تشكيل فريق موسيقي عسكري من الشبان الذين تخرجوا في هذه المدرسة

(4) اكمل الدين احسان اوغلي،نفسه،ج1،ص47-48

والكمان والناي والقانون ،ويؤدي المنشد مجموعة من الليالي والمواويل بمصاحبة القانون ،ثم يختم بأداء الدور مراعيا كذلك وحدة المقام في الوصلة .

وهذا التأثير التركي على الذوق المصري لدى الطبقة المتوسطة ظهر بهذه الوصلات الغنائية في القرن التاسع عشر.[1] وظلت موسيقى العاصمة العثمانية ،مسموعة في حواضر العرب الثقافية مثل مصر في القاهرة والى جانب الاعمال الاصلية الصادرة عن استانبول ،قاموا الملحنون العرب ومنهم المصريون بوضع اعمال اخرى تحاكيها واستمر الوضع حتى القرن العشرين [2]انتهى دوره مع قيام السلطان محمود الثاني بإلغاء اوجاق الانكشارية في استانبول[3].وقد قام الخديوي اسماعيل الى توجيه انظار حاشيته والطبقة الأرستقراطية الجديدة التي تشكلت حول السراي الى الموسيقى التركية الاصيلة ،فوطد الصلات بين الوسط الفني الموسيقي المتأصل في استانبول وبين ارباب موسيقى السراي وابناء الطبقة المتوسطة الجديدة الذين ظهروا في مصر وكان الجسر الفني الذي اقيم فيما بين قصر اميركان الساحلي في استانبول وسراي عابدين في القاهرة قد لعب دورا مهما في ذلك التفاعل والتواصل[4] وكان الخديوي اسماعيل باشا عند سفره من مصر الى استانبول صيفا يصطحب معه عددا من الشبان المغنيين والعازفين ذوي المواهبوساعدهم بذلك على اللقاء ببعض الاساتذة وبالتالي تطوير معارفهم واساليب ادائهم .وكان من بين هؤلاء الشبان الفنانين عبده الحامولي(1836-1901م) فكان من ابرزهم اظهار لتأثير الموسيقى التركية في اعماله التي انتقلت الينا ،وقد نقل هذا الاخير العديد من المقامات والالحان التركية لأول مرة الى مصر ،وكان ينقل الاغاني التركية بعد ان يترجم معاني ألفاظها الى العربية ويطلب من الشعراء نظمها ، وقد تعلم التركية وتزوج بسيدة من اتراك مصر هي جولنار هانم . وادخل العديد من العناصر اللحنية التركية ومنها الترنم بكلمة "امان" وسافر الى استانبول عدة مرات بعد وفاة

---

[1] احسان اوغلي: المرجع السابق، ص 50-51

[2] يلماز، اوزتونا : المرجع السابق،ص78.

[3] نفسه،ص769.

[4] احسان اوغلي: نفسه ،ص49.

الخديوي اسماعيل ونال تقدير السلطان عبد الحميد في عام1896م موكما يقول مؤرخوه حظي بالمثول في "الحضور الشهاني" مرارا واعجب امير المؤمنين بمهارته في فنه وحسن تأديته واجزل له العطاء ، وقد نجح في التوفيق بين المزاجين التركي والمصري .ويظهر تأثير التقاليد الموسيقية التركية في مصر على اسلوب الاداء العام وتقديم الحفلات الموسيقية فقد بدا الجمهور المصري يستمع بالوصلات التي تؤديها فرق الانشاد والعزف الموسيقي ،واصبح ترتيب" الوصلة" المصرية متأثرا بترتيب" الفصل" التركي الذي يبدأ عادة بقطعة موسيقية تعرف باسم "بيشرو" بالتركية التي عربت بكلمة بشرف وهي تتكون من اربعة اقسام يعرف الواحد[1].

[1] إحسان أوغلي ،المرجع السابق ،ص50

المطلب الثاني: التواصل اللغوي

1--اللغة التركية العثمانية داخل المصرية:

لم يكن مُحَمَّد علي باشا والجيل الأول من أسرته يتقنون لغة أخرى غير التركية ،وذلك لأصوله التي كانت من بلدة قوله [1]،غير أن الباشا لم يكتف بذلك الإطار الثقافي المحدود فقام بالإرتقاء بنفسه ثقافيا ،وعمل في نفس الوقت على تهيئة المناخ المناسب لتربية أبناء عائلته على ثقافة عثمانية رفيعة لأنه كان المحرك للإحياء تلك الثقافة في مصر ونقلها إلى زمرة الإداريين الجدد الذين خرجوا من بين الأهالي، وإلى الطبقة الإستقراطية الجديدة التي ظهرت نتيجة لحركة التحديث [2]،وحقق نجاحا كبيرا في ذلك ويكون بهذا قد عزز وجود الثقافة التركية العثمانية في مصر ودعم نشرها بصورة لم يسبق لها مثيل فالخلفية الثقافية (العثمانية المصرية)المشتركة التي ينتسب لها كل من الأتراك والمصريين قد شكلتها أربع عوامل أساسية تمثلت في تعليم اللغة التركية وتدريس الكتب التركية في المدارس المقامة حديثا مما ساعد على تكوين ثقافة عثمانية مشتركة بين أفراد فئة الإداريين الجدد والثاني هو تعليم اللغة الفارسية التي هي لغة أدبية في الثقافة العثمانية الرفيعة ،والثالث هو تعليم الخط (على الطريقة العثمانية)للتلاميذ في سن مبكرة ،وقد تميزت الصفوة العثمانية المصرية التي تشكلت داخل الجهاز الإدارة والمجتمع الحديث الذي عمل مُحَمَّد علي على تأسيسه في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي هو استخدامها للغة التركية العثمانية في الحياة اليومية وفي الجهاز الحكومي على سواء،أما الكتب اللازمة للنشاط التعليمي داخل السراي يجري من ثلاث مصادر مختلفة فكانت تأتي كتب اللغة التركية والفارسية من استانبول بينما تأتي كتب

---

[1] إن المصدر الأكثر وثوقا حول نشأة مُحَمَّد علي باشا وعائلته هو كتاب (عبر البشري في القرن الثالث عشر)لمحمد عارف باشا الذي ولد في قولة كان له علاقة مصاهرة مع مُحَمَّد علي باشا ،لكن هذا الكتاب على الرغم من أنه مطبوع له يستفد الكثيرون منه وتقول السيدة أمينة فؤاد طوغاي في كتابها المذكور فيما بعد أنها استفادت منه للمزيد أنظر :إحسان أوغلي ،المرجع السابق ج1،ص27.

[2] نفسه ،ص27.

اللغات الأوربية من عواصم أوروبا المختلفة [1]،وعقب تأسيس مطبعة بولاق أمر مُحَمَّد علي باشا بإعداد وطباعة الكتب التركية التي يريد تدريسها للأطفال [2].

وجرت ترجمة بعض الكتب إلى التركية ثم طبعت لأجل الوالي نفسه ولأجل أبناءه وخاصة إبراهيم باشا في التاريخ السياسي وحياة المشاهير من رجالات الدول الكبرى. ومن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار بعض عناصر الثقافة التركية في مصر ولاسيما اللغة التركية في محيط السراي فضلا عن المؤسسات التعليمية الرسمية تلك الجواري القوقازيات اللائي كان يجري شراؤهن في سن مبكرة ثم تجري تربيتهن وتنشئتهن في السراي[3].أما فيما يخص لغة الإدارة في مصر فقد استخدمت اللغة التركية من قبل فئة الإدارة العليا والجهاز المركزي ذي القاعدة العريضة الذي يعمل تحت إمرتها فقد قضت الضرورة لاستخدام اللغة التركية أيضا لأجل المكتبات التي تنوعت أشكالها وأغراضها مع استانبول، وكانت اللغة العربية بمثابة اللغة الرسمية الثانية للإدارة المحلية المؤتمرة بأوامر السلطة المركزية ،وفي هذا النظام المزدوج للغة كانت المكانة العالية للغة التركية التي هي اللغة الفعلية لحكام البلاد منذ عهد طويل وكان استخدام اللغتين هما بشكل رسمي قد أدى مع مرور الوقت إلى تأثر إحداهما بالأخرى فانتقلت بينهما بأعداد كبيرة كلمات وتعابير ومصطلحات تعبر عن معاني شتى[3].كذلك كانت اللغة التركية لغة الجيش المصري بحيث أنه كان من الضروري أن تكون الأوامر والنداءات بالتركية للآلاف من الجنود الذين لا يعرفون التركية أيضا وكان من بين تلك النداءات (حاضر أول، سلام دور،صاغه باق،صوله باق)وغير ذلك وهي كلها بالغة التركية وظل استخدام قسم من تلك المصطلحات جاريا في الجيش المصري حتى أواسط القرن العشرين،بينما لازال قسم قليل منها مستخدما حتى اليوم مثل مصطلح "أفندم"مازال حتى اليوم في الحياة العسكرية والمدنية معا[4].

---

[1] إحسان أوغلي ،المرجع السابق ج1،ص28.

[2] مُحَمَّد صبري ،المرجع السابق ،ص53.

[3] نفسه ،ص81.

[4] نفسه،ص82_83.

المراسلات التركية التي كانت جارية بين أفراد العائلة الخديوية:

ومن بين تلك الخطابات ما كتبته الأميرة أمينة نجيبة هانم [1]زوجة الخديوي توفيق إلى ابنها عباس(عباس حلمي الثاني) ،وهي من هذه الناحية خطابات جد طريفة، أما الخطاب الثاني كتبته إليه عندما كان في أوروبا بعد أن اعتلى منصب الخديوي على مصر، وأخبرته فيه بدعوة السلطان عبد الحميد الثاني له في عام 1898م،كل هذه الخطابات كانت باللغة التركية وهذا يبين مدى اهتمام بالثقافة الرفيعة في القصر _الثقافة العثمانية_وعدا المكاتبات والمراسلات التركية التي كان يقوم بها أفراد العائلة المالكة وأفراد الطبقة المتحدثة باللغة التركية فيما بينهم فالمعروف أن كبار موظفي الدولة من المصريين الذين نشأوا في المدارس الحديثة كانوا هم أيضا يجيدون اللغة التركية، ومن بين الذين شغفوا بها وأجادوها بدرجة ملحوظة علي مبارك باشا وأحمد شفيق باشا ،وقد ورد في مذكرات الأخير بعض كبار المصريين من أصدقاء والده كانوا يتكاتبون فيما بينهم باللغة التركية، وذلك عدا كتاباتهم الرسمية إلى السلطات العليا [2]

2-تدريس اللغة الفارسية في مصر:

لقد حظيت اللغة الفارسية بمكانة كبيرة في عصر مُحَّد علي باشا باعتبارها عنصرا مهما في الحياة الثقافية العثمانية ،وتعتبر لغة مثالية لإنتاج الأدب خاصة في الشعر، إلى جانب ذلك فقد حظي تعليم الفارسية بنصيب في المدارس الحديثة التي أقامها مُحَّد علي وذلك في إطار منظومة الألسنة الثلاثة ،وواكب ذلك طبع عدد من الكتب الفارسية وبعض الكتب المترجمة من الفارسية إلى التركية في مطبعة بولاق فضلا عن بعض الكتب تعليم الفارسية المستخدمة في نظام التعليم العثماني في إستانبول.وتنقسم الكتب الفارسية المطبوعة في مصر إلى ثلاث مجموعات:

---

[1]أمينة هانم ابنة الأمير الهامي باشا ابن الخديوي عباس الأول.وكانت تقضي موسم الصيف في بيتها الصيفي على ساحل البسفور في استانبول ،وتربطها بالسلطان عبد الحميد علاقات احترام ومودة. أنظر:اكمل الدين احسان اوغلي ، السابق،ج1،ص38.

[2]نفسه ،ص38_39.

أ_الكتب والمعاجم المستخدمة في تعليم الفارسية :

لقد عرفت الفارسية اهتماما كبير في المنظومة الألسنة الثلاثة التي تمثل اللغات الثقافة العثمانية ،وأول كتاب طبع في مصر هو كتاب القواعد الذي وضعه حيرت "أفندي دار ندوي" تحت العنوان "مفاتيح الدرية رسالة سي"،و ظهرت أول طبعة منه سنة 1826م، كذلك معجم منظوم تركي عربي فارسي تحت عنوان "تحفة جوهر عيار أوج زيان"[1]. أما فيما يخص الطبعة الثانية من هذين الكتابين فقد ظهرت سنة1839م، ومن بين المعاجم المهمة أيضا نذكر "تحفة وهبي"الفارسي التركي الذي وضعه نظاما سنبل زاده وهبي وجعله من58 قطعة، وأكمله سنة1782م ،وظهر منه في إستانبول ما يقارب خمسين طبعة .أما في مصر فقد طبع تسع مرات خلال السنوات "1830م-1865م".وفيما يخص المعجم الفارسي "برهان قاطع"الذي وضعه مُحَمَّد حسين بن خلف تبريزي ثم قام أحمد عاصم أفندي "1819م[2]"بترجمته إلى التركية تحت عنوان "برهان قاطع ترجمة سي "وهو من أهم المعاجم التي طبعت في مصر .وقد كان المعجم المعروف باسم "كتاب ترجمان في اللغة الفارسية والتركية والعربية"الذي طبع في مصر سنة1858م هو آخر كتاب تعليمي يضم ثلاث لغات معا المذكورة سابقا[3] .

ب_الكتب المترجمة من الفارسية إلى التركية :

عرفت الترجمة من الفارسية إلى التركية دورا أبرزا في الحياة الثقافية ،ومن بين الكتب المترجمة من الفارسية إلى التركية المطبوعة في مصر ،نذكر منها "رشحات عن الحياة" التي قام بها مُحَمَّد شريف العباسي "1593م-1594م" لكتاب في التصوف كتبه حسين واعظ الكاشفي بالفارسية وطبعت الترجمة سنة 1840م.ثم قام شاه ولي الله بن شاه عبد الرحمان الهذي الدهلوي بترجمة إلى الفارسية تحت اسم "فتح الرحمان "ونقل عنها إلى التركية تحت اسم

---

[1] اكمل الدين احسان اوغلي ،المرجع السابق ،ج1،ص165.

[2] هو في الأصل من عينتاب ،واشتهر بالمعاجم التي ترجمها وقد طبعت كتبه في مصر استمرار للتقليد الجاري في استانبول ،وله خمسة كتب مطبوعة في مصر ،اربعة منها طبعت في استانبول ثم طبعت في مصر أما كتابه المعروف باسم "ترجمة سيرحلبي"فقد طبع في مصر .انظر ،اكمل الدين احسان اوغلي ،نفسه ،ص166.

[3] نفسه،ص166.

"كتاب التفسير الجمالي على التنزيل الجلالي "وطبع في أربعة مجلدات ،ومن بين الكتب أيضا كتاب "دلائل نبوت مُحَمَّدي وشمائل فتوت أحمدي "الذي هو ترجمة تركية لكتاب فارسي باسم "معارج النبوة في مدارج الفتوة" وقد طبع في بولاق سنة 1855م.أما كتاب "ترجمة قصيدة سنكلاخ در مدح أزمير" أي ترجمة قصيدة سنكلاخ في مدح أزمير الذي طبع في مصر سنة 1845م فهو يحتل مكانة متميزة عن الكتب الأخرى باعتبار أنه من الإنتاج المصري المحلي وترجمة جرت في مصر من اللغة الفارسية إلى اللغة التركية .فالكتاب ترجمة تركية لقصيدة فارسية كتبها الخطاط الخراساني ميرزا سنكلاخ "1877م"في حق مدينة أزمير التركية[1] وكان آخر كتاب تركي طبع في مصر بعد ترجمته من الفارسية هو "جاي رسالة سي "الذي كتبه أبو الخير إسماعيل ثم ترجمه داما دزداه أبو الخير أحمد أفندي ابن مصطفى راسخ أفندي "1741م".وقد طبع ذلك كتاب مع كتاب "خواص بيبريه"و"شفاء الفؤاد"سنة "1883م"[2].

ج_الكتب الفارسية المطبوعة في مصر:

من بين الكتب الفارسية المطبوعة في مصر، كتاب "كلستان"المشهور لسعدي الشيرازي ثماني مرات في مصر خلال السنوات "1828م-1873م".وطبع أيضا كتاب "نصايح الفارسية "في علم المواعظ مرتين سنة "1850م"،وطبع كتاب "بند نامه" لفريد الدين العطار تسع مرات في مصر خلال سنوات "1828م-1878م".إلى جانب ذلك هناك كتابان آخران من الإنتاج المصري المحلي تم طبعها في مصر ،أحدهما "تهنيت نامه خديوية "1879م الذي يضم أشعار بالتركية والفارسية والتي مدح فيها الخديوي مُحَمَّد توفيق باشا ،والثاني ديوان عائشة التيمورية "1898م".والملاحظ أن كل من الكتابين يحتويان على أشعارا فارسية وأشعار تركية[3] .

3-حركة الترجمة في مصر ومكانة اللغة التركية فيها :

---

[1]سنكلاخ الحراساني شاعر وكاتب وخطاط من العصر القاجاري في القرن 13ه/19م واسمه الأصلي مُحَمَّد علي بجنوردي ،وكان درويشا ،ثم تعلم خط التعليق الفارسي.انظر :اكمل الدين احسان اوغلي ،نفسه،ص167.

[2]نفسه،ص169.

[3]نفسه،ص169.

بدأت الترجمة في مصر في عهد مُحَمَّد علي باشا حركة ترجمة نشطة تدعو للاهتمام ،وكان من أبرز جوانبها أنها لم تقتصر على الترجمات التي كانت تجري طبقا للتقاليد المعروفة بين لغات الثقافة العثمانية ،أي التركية والعربية والفارسية وإنما تعدت إلى لغات أوروبية [1].ولقد عرفت حركة الترجمة في مصر علاقة وطيدة مع حركة الترجمة في الدولة العثمانية .إذ قام والي مصر عبد الرحمان باشا بتكليف شخص يدعى أحمد بن سليمان في عام 1716م بترجمة الكتاب المشهور الذي وضعه السيوطي العالم المصري ،حول تاريخ مصر تحت عنوان "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" ولقد قام الوالي بتكليف شخصا آخر بترجمة نفس الكتاب [2].وذلك لما كانت له من أهمية كبيرة في مصر، وكون هذا الكتاب ترجم إلى التركية بأمر من بشوات العثمانيين إنما هو نقطة مهمة تكشف لنا أن رجال الدولة العثمانية عد إبراهيم باشا كانوا أيضا مهتمين بترجمة الكتب إلى اللغة التركية. وكانت فعاليات الترجمة التي ظهرت في عهد مُحَمَّد علي قد بدأت في بعض الأحيان بمحاولات شخصية منه ومن ابنه إبراهيم باشا ، أهم ما تميزت به هذه الحركة أن الكتب التي أراد قراءتها مُحَمَّد علي والرجال المحيطين به قد جرت ترجمتها على الفور ، بينما كانت حالة الترجمة التي دشنها الصدر الأعظم إبراهيم باشا في إستانبول قبل قرون من الزمن في افتقار ونقص اهتمام ،أي أن تتحقق طباعة كتاب بعد انقضاء مدة طويلة على ترجمته ، إنما يدل على فارق التقديم بين الحالتين[3].والملاحظ أن اهتمام مُحَمَّد علي بترجمة بدل على التعليم منها ويعلم المحيطين به ، وأن كتبا عدة جرت ترجمتها لهذا الغرض من لغات الشرق أو الغرب ،وأول ترجمة طبعت في مطبعة بولاق1857م عرفت باسم "ترجمة مقدمة ابن خلدون "فهي الترجمة التي قام بها "بيري زاده مُحَمَّد" صاحب أفندي "1739م"،وقد طبعت في مصر في عامين متتالين (1858_1859م)،إذ ظهرت

---

[1] جاك تاجر ،المرجع السابق،ص30.

[2] نسخة الترجمة التي قام بها عبد الله بن محمود البغدادي محفوظة بنفس مكتبة السليمانية ،أما نسخة الترجمة التي قام بها أحمد بن سليمان فهي محفوظة بنفس المكتبة أسعد أفندي رقم2215،داما ابراهيم باشا 910.انظر :اكمل الدين احسان اوغلي نفسه،ص172.

[3] نفسه،ص174.

الطبعة أولى في بولاق ، والطبعة الثانية في مطبعة "طبوغرافيا دستكاهي "،والملاحظ في أن بعض الفصول لميت مترجمتهاير يزاده فظهرت بالعربية[1].

أ–الترجمات عن اللغات الشرقية:

لقد تم تداول اللغات الثلاثة [2]في حركة الترجمة في مصر، والتي تم طبع منها في مصر بينما بقي البعض الأحر مخطوطا دون طباعة .وتحتل رسالة قوجي بك "قوجي بك رسالة سي"مكانة متميزة بين الكتب المترجمة من التركية إلى العربية .وهذه الرسالة كتبها صاحبها للسلطان مراد الرابع حول أوضاع الدولة العثمانية ،وتمت ترجمتها من التركية إلى العربية وذلك من طلب من مُحَّد علي باشا، ولقد تولى ترجمتها كاتب الديوان عبد الله أفندي عزيز بن خليل ، وانتهى منها عام 1825م ، ونلاحظ أن رسالة "قوجي بك" في الوقت الذي كانت تترجم فيه العربية في مصر ويجري تقديمها لمن يقرأون بالعربية كانت تجري ترجمة أخرى موازية لها في إستانبول لكتاب آخر المعروف باسم "مظهر التقديس بخروج طائفة الفرنيس" الذي آلفه المؤرخ المصري عبد الرحمان الجبرتي حول احتلال الفرنسي لمصر. وتوجد هناك عدة ترجمات طبعت مثل كتاب الأوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط الذي ترجمه عاصم أفندي من العربية إلى التركية ،وطبعت الترجمة في مصر.وقد ظهرت في إستانبول أول طبعة(1815–1817م)لذلك المعجم الذي أتمه عاصم أفندي في خمس سنوات ،ثم أرسلت نسخة بأمر من السلطان محمود الثاني إلى مكتبات إستانبول ،أما طبعة مصر خرجت في ثلاث مجلات عام (1834م)[3].

أما فيما يخص الكتاب الثاني "مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق "الذي ألفه محي الدين أحمد بن إبراهيم ،والذي ترجم إلى التركية في مصر سنة(1835–1836م).كذلك الكتاب العربي "تلخيص الأبريز في تلخيص باريز"والذي طبع الأصل العربي للكتاب عام 1834م،

---

[1] إحسان أوغلي ،المرجع السابق ج1،ص175.

[2]الفارسية والعربية والتركية.

[3]يلماز اوزتونا ،المصدر السابق ،ص532.

ثم طبعت ترجمته التركية في مصر عام 1839م،وهي الترجمة التي قام بها رستم بيسم أفندي كاتب عرض حالات الوالي .وهناك أيضا نصوص ترجمت من الفرنسية إلى العربية[1].

ويلاحظ في خضم البيئة الثقافية النشطة التي تشكلت في مصر أن حركة اللغات الشرقية كانت تتميز ببعض التجديدات تأثرا بالتقاليد العثمانية التي تنتظم اللغات الثلاث .ومن أبرز أمثلة على التجديد هو ترجمة كتاب "كلستان"للشاعر الإيراني سعدي الشيرازي من الفارسية إلى العربية ثم طباعته. أما كتاب الذي ترجم من الفارسية إلى التركية وطبع في بولاق عام 1845م تحت عنوان "ترجمة قصيدة سنكلاج دو مدح أزمير"فهو يمثل نموذجا طريفا في تراث الثقافة الثلاثية اللغة للدولة العثمانية [2].

ب–الترجمات عن اللغات الغربية:

يلاحظ الباحثون نشاط كبيرا في الترجمة عن لغات الغرب في مصر في عهد مُحَّد علي،والجانب الكبر من تلك الترجمات هي الأعمال التي رأي المسؤولون أنها تساهم في بناء جيش حديث ، وتولي شؤون الحرب والتعليم[3]. وقد ظهرت طبعات بعض الكتب الطبعة أولى في إستانبول ، والطبعة الثانية في مصر،وذلك لان إستانبول كانت مصدر إلهام في المراحل الأولى ،وسمة بارزة لحركة التحديث في مصر،ومن أمثلة على ذلك كتاب :تلخيص الأشكال طبع في إستانبول 1801م ثم القاهرة 1824م،ومجموعة المهندسين "إستانبول 1802والقاهرة 1825م". و تعتبر حركة الترجمة التي قادها مُحَّد علي قد جرت على التقاليد العثمانية ،سواء في اللـغات الشرقية أو اللغات الغربية.ولكن الفارق المهم هنا هو أن أغلب الترجمات التي تمت في عهده لم تترك مخطوطة بل جرت طباعتها وقدمت للقراءة ولقد لقيت هذه الفترة عدة ترجمات لكتب من اللغات الغربية إلى التركية في مصر وحظيت بأهمية كبيرة[4].

4–التأثير المتبادل بين طباعة إستانبول وطباعة بولاق:

---

[1] اكمل الدين احسان اوغلي ،المرجع السابق،ص192.

[2] نفسه،ص192.

[3] نفسه،ص193.

[4] نفسه،ص195.

لقد كانت طباعة الكتب بالحرف العربي التي بدأت مع إقامة مطبعة إبراهيم المتفرقة في إستانبول هو المثال الواحد الذي ظهر فوق الأراضي الدولة العثمانية ،واستمر ذلك حتى قيام مطبعة بولاق بطباعة أول كتاب تركي لها عام1822م،فقد ظلت تلك الكتب المطبوعة في إستانبول هي صاحبة الريادة في فن الطباعة لمدة طويلة ،ليس في العالم العثماني وحدة ،وإنما في شتى أنحاء العالم الإسلامي ،وكانت تمثل لمطبعة بولاق بوجه خاص نموذجا يجري الاحتذاء به ،والجدير بالذكر ان العلاقة بين ما طبع في مطابع إستانبول وما طبع في مطبعة بولاق جد متشعبة ،وتدعونا لدراستها في العديد من الجوانب. ولقد بلغ عدد الكتب التركية التي طبعت في مطبعة بولاق على أيام مُحَمَّد علي باشا (1822_1848م) 253كتابا،وهذه الكتب سبق أن طبع منها في إستانبول قبل ذلك 53كتابا،بينما طبع لأول مرة 122كتابا منها في مطبعة بولاق أيام مُحَمَّد علي باشا ،ثم أعيد طبعها في استانبول بعد ذلك [1].وتظهر ملامح تأثير الكتب المطبوعة في استانبول على الكتب المطبوعة في بولاق على الخصائص الشكلية ،أي في أساليب الزخرفة ،ونوع الخط ،والمعلومات المدرجة في قيد الفراغ (الكولوفون)،وهذا التأثير يبدو جليا في زخرفة الصدرية "الصفحتان الأوليان"،والمثال على ذلك أن صدرية كتاب التاريخ واصف المطبوع في استانبول عام 1219هـ الموافق 1804م لم تتكرر في طبعة بولاق عام 1243هـ الموافق 1827م.وهناك عنصر آخر كان له الأثر الأكبر في تحديد قطع وشكل الكتاب المطبوع ،سواء كان في استانبول أم كان في بولاق ،إلاهو"تقاليد الكتاب المخطوط" التي ظهرت وتطورت على مدى القرون الماضية ودووين الشعر المطبوعة في بولاق [2]هي أبدع الأمثلة على مدى تأثير أساليب وتقاليد الكتاب المخطوط على الكتاب المطبوع .والأمر الذي يلفت النظر أن 57كتابا أدبيا تركيا والتي أمكننا التثبت من أنها طبعت في بولاق على أيام مُحَمَّد علي باشا إنما تمثل الدووين الشعرية 28كتابا منها، ونلاحظ أن النص في (وصايا نامة سفريه) أول كتاب خرج من مطبعة بولاق يبدأ من صحيفة الأولى بالبسملة ،أو بمعنى آخر يبدأ بما تبدأ به الكتب المخطوطة في العادة

---

[1] اكمل الدين احسان اوغلي ،المرجع السابق،ص404.

[2] مُحَمَّد صبري،المرجع السابق،ص53.

،ولا يوجد في الصحيفة شيئ من الزينات [1].ويأتي الكتاب التركي الثاني المطبوع في بولاق أيضا وهو (قانون نامة عساكر بيادكان جهادية) على نفس الشاكلة ،ولعل السبب في تلك البساطة الواضحة في الكتب العسكرية أنها كانت من الكتب التدريس "الإلزامية " .وتأتي عبارة قيد الفراغ المستخدمة في الكتب التركية المطبوعة في بولاق على أسلوب الكتب المخطوطة واستمرار في نفس الوقت لأساليب الطباعة الاستانبولية ،فاللغة التركية هي لغة الفراغ في كتاب (وصايا نامة سفرية) أول كتاب جرى طبعه في مطبعة بولاق [2].وقد أخذت عبارات المديح الطويلة للوالي مُحَّد علي مكانها فيه،كما ورد مكان المطبعة وتاريخ الطباعة باليوم والشهر .وفي الكتاب الثاني أيضا جاء قيد الفراغ بالتركية، أما قيد الفراغ في الكتب المطبوعة بعد ذلك فقد ورد بالعربية أحيانا وبالتركية أحيانا أخرى .وكتاب تلخيص الأشكال في معركة ترفيع الأثقال لحسين رفقي الطماني مثلا المطبوع في بولاق عام 1239هـ الموافق 1824م قد جاء قيد الفراغ فيه باللغة العربية .كما يتميز قيد الفراغ في الكتب المطبوعة في بولاق أيضا بخاصية أخرى ،وهي ذكر اسم المصحح واسم الملتزم (أي الشخص الذي طبع الكتاب لحسابه)واسم مدير المطبعة أثناء طبع الكتب [3].

5-الخط العثماني التركي في مصر:

فقد كان التفوق الواضح للمدرسة العثمانية في خط وانتشار الأسلوب التركي يمثل أحد الجوانب الأجدر بالانتباه في الثقافة العثمانية .وكان أثره في العهد الذي بدأ بحكم مُحَّد علي باشا أكثر عمقا بالمقرنة مع العهود السابقة عليه.بحيث أن الخط العثماني بدأ ينتشر و يصبح أكثر وضوحا في عهد أسرة مُحَّد علي ، ولاسيما عندما أخذت دروس حسن الخط مكانتها في برامج تعليم الحديث و هذا الأخير كان إلزاميا في المدارس كان تدريسه من طرف المعلمين الأتراك [4].و الأمر الأساسي الذي يؤكد عليه هو أن السرايا قد لعب دور الريادي في توطين ذلك الفن في مصر، ففي القرن التاسع عشر غادر الخطاط مصطفى عزت أفندي إستانبول

---

[1]اكمل الدين احسان اوغلي ،نفسه،ص405.

[2]نفسه ،ص406.

[3]أكمل الدين إحسان أوغلي،المرجع السابق ،ص407.

[4] نفسه،ص54.

متوجها إلى القاهرة ،وهو الذي كتب الخطوط الموجودة على قبر مُحَمَّد علي باشا داخل الجامع الرائد الـذي بناه في القلعة على الطراز العثمـاني ،ثم بعده تلميذه عبد الله زهـدي واستوطـن القاهـرة هو الاخر ،ومنـحه الخديـوي إسمـاعيـل باشا لقب "خطاط مصر" وكان عبد الله زهدي قد قام بأمر من السلطان عبد المجيد بكتابة الأيات القرآنية والآحاديث النبوية والأشعار التي تمدح الرسول ﷺ بخط الثلث الجلي فوق قبة وجدران المسجد النبوي في المدينة المنورة ،فنال تشجيع الخديوي وكسب عطفه فإستقر في القاهرة ،وراح يمارس صنعة الخط فيها ،فكان يكتب الخطوط للدوائر الرسمية المختلفة ،ويقوم بإعداد قوالب العملات الورقية "البنكنوت" وكتب نقوش العديد من الأثار ،ودرس الخط في مدرسة الأمراء ،وعاش في القاهرة حتى توفي هناك عام 1879م[1].

[1] إحسـان أوغـلي ،المرجع السابق ج1 ،ص55.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال معالجتنا لموضوع التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي "مصر نموذجا"توصلنا إلى حوصلة لهذه الدراسة :

إن التأثير التركي العثماني في مصر كان أكثر قوة وأكثر تشعبا على أيام محمد علي بالمقارنة مع العهد العثماني السابق رغم امتداده ثلاث قرون وهذه التأثيرات التي شملت طرز الحياة الاجتماعية في الملبس والمأكل وفي الموسيقى والغناء وأساليب التسلية والترويح ،وهذا التأثير الثقافي الذي نفذ إلى ساحات تأثير واسعة تمتد إلى أساليب الملبس وأنواع الأطعمة وألوان الموسيقى والغناء إنما يرتكز في الأساس على مرجعية أعلى تشكلت من احتذاء الثقافة العثمانية الاستانبولية ومن ابرز مظاهر ذلك التأثير كانت تبدو واضحة حتى الحرب العالمية الثانية داخل المجتمع المصري .

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نكشف كيف أن الخلفية الثقافة التركية العثمانية قد أخذت في البروز والاتساع في مصر على أيام محمد علي وأسرته أكثر مما كانت في السابق وكيف اكتسبت تلك الثقافة كثافة وانتشارا بدرجة تفوق ما كانت عليه بفضل الاهتمام الكبير الذي لقيته من محمد علي وسياسته الرامية إلى التجديد وبفضل المدارس الحديثة التي أقيمت والكتب التركية التي أخرجتها المطبعة بأعداد كبيرة أقبل أيضا الأهالي المحليون المتحدثون بالعربية على الثقافة التركية العثمانية فضلا عن المتحدثين بالتركية ممن جاءوا من خارج مصر،فأدى ذلك إلى ظهور النموذج الثقافي العثماني المصري إلى جانب النموذج التركي العثماني .

وفي الأخير يمكن القول بأن موضوع التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية والمشرق العربي يعد من أهم المواضيع التي مازالت بحاجة لمزيد من البحث والإثراء ،وعليه يبقى المجال مفتوحا لكل من أرادا التوسع في هذا الموضوع قصد الإحاطة بكل الجوانب والجزئيات.

الملاحق



ملحق رقم 01: موكب تشريفة يوم الجمعة

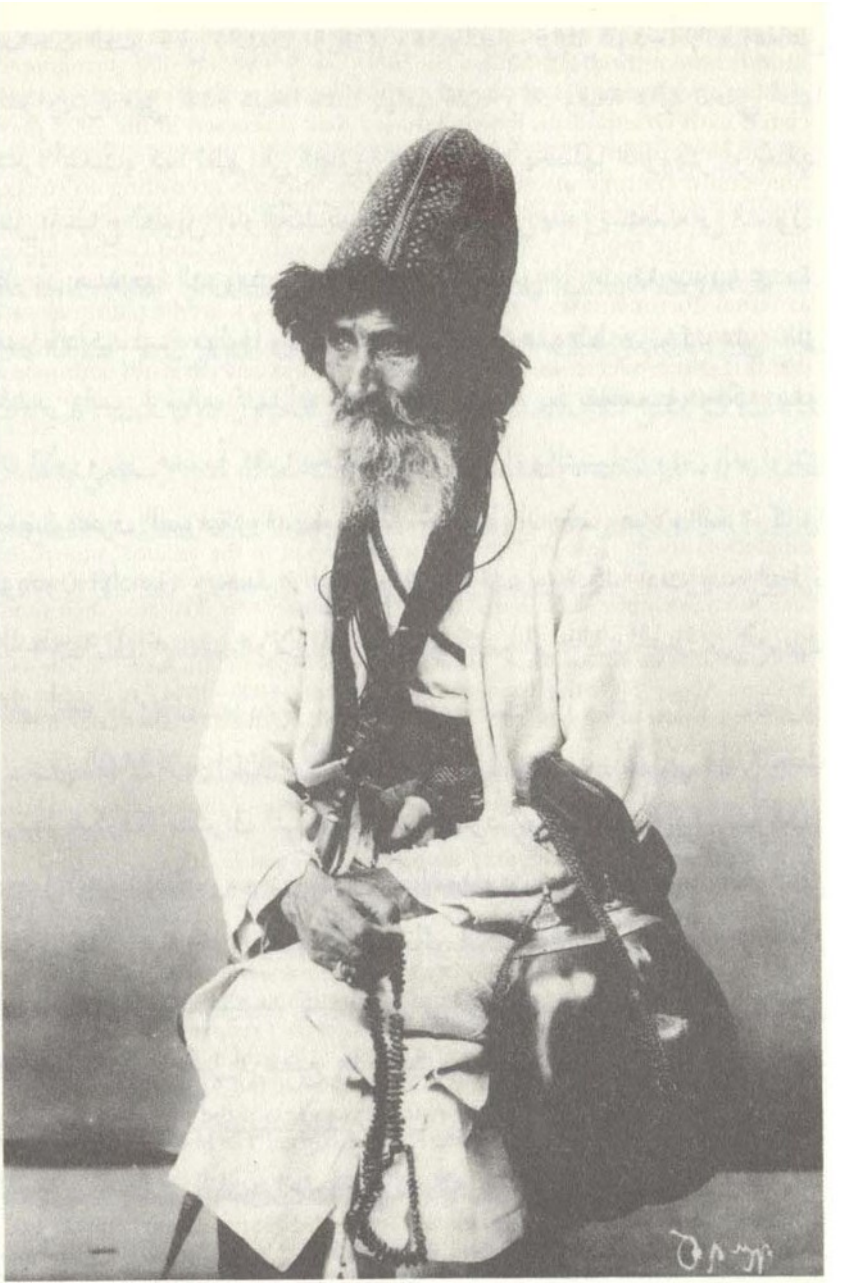


ملحق رقم 02: مدرسة الهندسة العسكرية الحربية





ملحق رقم 03: السلطان محمود الثاني بالزي القديم والجديد



ملحق رقم 04: صورة لدرويش



ملحق رقم 05: الرقص الدوراني للطريقة المولوية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-قائمة المصادر:

1_ أوزتونا يلماز،**تاريخ الدولة العثمانية** ،تر:عدنان محمود سلمان ،مر:محمود الأنصاري،مج 2،مؤسسة الفيصل ،استانبول تركيا،1990م.

2_الرافعي عبد الرحمان:**عصر مُحَمَّد علي** ،ط5،دار المعارف،مصر،1989م.

3_الطهطاوي رفاعة رافع ،**الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي** ،ج2،ط1،السياسة والوطنية والتربية،دراسة وتحقيق مُحَمَّد عمارة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت، 1991م.

4_المحامي مُحَمَّد فريد بك،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تح:إحسان حقي ،ط1،دار النفائس،بيروت:1401هـ_1981م.

5_مبارك سعادة علي باشا ،**الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة،ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة**،ج1،ط1،المطبعة الكبرى الإميرية ببولاق ،مصر،1306هـ.

2_ قائمة المراجع:

1_أحمد هريدي صلاح،**دراسات في تاريخ العرب الحديث**، د ط،النشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية 2008م.

2_أحمد هريدي صلاح ،**الحرف والصناعات في عهد مُحَمَّد علي** ،تق:عمر عبد العزيز عمر ،د ط،دار المعارف الاسكندرية:1985م.

3_أمين أحمد،**زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ،دط،دار الكتاب العربي،بيروت:د ت.

4_الاسكندري عمر وحسن سليم،**تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر** ،د ط،مكتبة مديولي ،القاهرة :1996م .

5_أوغلي أكمل الدين إحسان،"**الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي**"،تق:رجب أردوغان ،ج1،ط1،ارسيكا ،استانبول ،2006م.

6_أوغلي أكمل الدين إحسان ،**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** ،ج1،تر:صالح سعداوي،مج 2،مركز الأبحاث لتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ،استانبول ارسيكا ،1999م.

7_أوغلي أكمل الدين إحسان ،**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** ،ج2،تر:صالح سعداوي ،مركز الأبحاث لتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ،استانبول اريسكا 1999م.

8_الأيوبي إلياس،**تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا إلى 1879م**،مج2،د ط،مكتبة مديولي ،القاهرة:د ت.

9_البدري مُحَّد عبد الستار ،**المواجهة المصرية الأوروبية في عهد مُحَّد علي** ،ط1،دار الشروق ،القاهرة،2001م.

10_برج حمد عبد الرحمن ،التاريخ العربي الحديث والمعاصر ،د ط،مكتبة الأنجلو المصرية :1974م.

11_بركات مصطفى،**الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (1517_1924م)**،د ط،دار غريب،القاهرة:2000م.

12_بيضون جميل وآخرون ،**تاريخ العرب الحديث والمعاصر**،د ط،دار الفكر العربي ،مصر:1991م.

13_البيات فاضل، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ،ط1، دار المدار الاسلامي ،بنغازي ,ليبيا،،2003م.

14_تاجر جاك،**حركة الترجمة خلال القرن التاسع عشر** ،د ط،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة القاهرة:2012م

15_تاجر جاك وجورج جندي،**إسماعيل كما تصوره الوثائق** ،دار الكتب المصرية،1947م.

16_حجازي محمود فهمي ،**أصول الفكر العربي عند الطهطاوي مع النص الكامل "تلخيص الإبريز** "د ط،الهيئة المصرية العامة،القاهرة:1974م.

17_حسن الساعاتي سامية،**المرأة والمجتمع المعاصر**،د ط،دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع ،مصر:2007م.

18_الحوراني ألبرت ،**الفكر العربي في عصر النهضة 1798_1939م**، تر:عزقول كريم دط،دار النهار للنشر بيروت1986م.

19_الحلاق حسان،تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر،ط1،دار النهضة العربية ،بيروت:2000م.

20_الدقن مُحَّد السيد،**تاريخ مصر الحديث** ،د ط،وصف للآلات الكاتبة 14ش،أم غلام بالحسين.

21_رمضان عبد العظيم،**تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث** ،د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993م.

22-سراج الدين إسماعيل،**تحديث مصر في عهد مُحَّد علي باشا**،د ط،مكتبة الاسكندرية،مصر:2007م.

23_سيد إسماعيل ،**تاريخ المسرح في العالم العربي ،القرن التاسع عشر** ،د ط،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،مصر:2012م.

24-الشافعي لمياء أحمد عبد الله،**الصرة العثمانية الموجهة إلى مكة المكرمة (792_974هـ)(1389_1566م)**،د ط،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،مكة المكرمة:د ت.

25_الشيال جمال الدين،**تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر مُحَمَّد علي** ،د ط،دار الفكر العربي،مصر: 1951م.

26_صبري مُحَمَّد،**تاريخ العصر الحديث مصر من مُحَمَّد علي إلى اليوم**،ط2،مطبعة مصر:2000م.

27_الصلابي مُحَمَّد علي،**الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**،د ط،دار الدعوة،د ب،د ت.

28_طه جاد،معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر ند ط،دار الفكر العربي،مصر1985م.

29_طوسون عمر،البعثات العلمية في عهد مُحَمَّد علي ثم عهد عباس الأول وسعيد،د ط،صلاح الدين الإسكندرية ،مصر:2002م.

30_عبده إبراهيم ،**تاريخ الوقائع المصرية** ،ط2،مطبعة التوكل ،القاهرة:1943م.

31_عبيد جميل ،**قصة إحتلال اليونان(1824_1827م)**،د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م.

32_العطار سلوى،**التغيرات الاجتماعية في عهد مُحَمَّد علي** ،ط1،دار النهضة العربية للطبع والنشر ،القاهرة:1989م.

33_عمر عبد العزيز ،**تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517_1922م)**،د ط،دار المعرفة الجامعية 2002م.

34_عمارة مُحَمَّد،**رفاعة الطهطاوي رائد عصر التنوير في العصر الحديث** ،ط3،دار الشروق ،مصر:2007م.

35_الغيطاني جمال ،**إدريس أفندي في مصر،مذكرات الفنان والمستشرق الفرنسي بريس دافين في مصر** ،د ط،القاهرة:القرن 19م.

36_فرج السيد،**حروب مُحَمَّد علي** ،د ط،مطبعة التوكل بالجماميز،مكتبة عبد الحميد بدري،الإسكندرية:1959م.

37_كرابس جاك جونيور،**كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر ،دراسة في التحول الوطني ،تر** وتح عبد الوهاب بكر ،د ط،الهيئة العامة المصرية للكتاب،1993م.

38_كواترت دونالد،**الدولة العثمانية(1700_1922م)تعريب أيمن الأرمني**،ط1،مكتبة العكيبان،2004م.

39_الكومي سامي عبد العزيز ،**الصحافة الإسلامية في القرن التاسع عشر**،د ط،دار الوفاء ،المنصورة ،د ت.

40_ليفشيز رايموند،**تكايا الدراويش (الصوفية والفنون والعمارة في تكايا العثمانية)**،تر:عبلة عودة ،مر:أحمد خريس ،ط1،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،2011م.

41_مانتران روبير ،**تاريخ الدولة العثمانية،ج2،تر:بشير السباعي** ،ط1،دار الفكر القاهرة:1993م.

42_مصطفى أحمد عبد الرحيم ،**علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي اسماعيل(1863_1879م)**،د ط،دار المعارف،1967م.

43_النجار جميل موسى،**الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني (1869_1917م)**،ط1،مكتبة مديولي ،القاهرة ،1991م.

44_نوار عبد العزيز سليمان ،**تاريخ الشعوب الإسلامية** ،د ط،دار الفكر العربي،القاهرة:د ت.

45_ياغي أحمد اسماعيل،**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**،د ط،مكتبة العبيكان،د ت.

الرسائل الجامعية:

1_شوكت مُحَمَّد لطفي عبد الرحمن قاضي ،**العمارة الإسلامية في مصر (النظرية والتطبيق)رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه** ،جامعة أسيوط1998م.

المجلات:

1_عبد المنعم إبراهيم الجمعي،**حركة الترجمة والتحديث اللغة والثقافة العربية في مصر خلال القرن التاسع عشر** ،دراسة تاريخية ثقافية،مجلة دراسات العالم الإسلامي،1_5فبراير،2012م.

2_عصفور سلمان مُحَمَّد،**العثمانيون لجد أفكارهم الإسلامية ودور نامق كمال في بلورتها** ،مجلة ديالي ،ع2011،49م.

3_الصانع بان أحمد،سياسة بريطانيا اتجاه اليهود والنصارى في الدواة العثمانية ،مجلة التربية والعلم،م19، ع5،جامعة الموصل العراق،2012م.

الموسوعات:

1_خير الدين الزركلي ،**الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،ج6،ط15،المكتبة العصرية ،لبنان:2002م.

2_الكيالي عبد الوهاب ،**الموسوعة السياسية** ،ج2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،د ت.

3_كحالة عمر رضا،**معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية** ،ج3،دار المثنى ،بيروت،د ت.

4_نصار مُحَمَّد حسن،**الموسوعة العربية الميسرة** ،ج3،ط3،المكتبة العصرية ،بيروت:2009م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

بسملة **الصفحة**

دعاء

كلمة الشكر وتقدير

اهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ،ب، ج،د

المدخل : الأوضاع السياسية للدولة العثمانية في المشرق العربي خلال القرن التاسع العشر الميلادي.....12

1–العلاقة بين الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي بشكل عام.....13-27

2–العلاقة بين الدولة العثمانية ومصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي 27-32

المبحث الأول: الحياة الثقافية في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.....33

-**المطلب الأول**: الحياة الاجتماعية في الدولة العثمانية.....35

1–الحياة اليومية في المجتمع العثماني (داخل السراي).....35-37

2–الحياة اليومية في المجتمع العثماني (خارج السراي).....37

أ–البيت العثماني.....37-38

ب–البيوت في القرى والارياف.....38-39

ج–الحياة خارج المنزل.....39-40

3–لمحات عن الحياة الاجتماعية.....40-41

4–جوانب اخرى من الحياة الاجتماعية.....41-42

5-الميدان الرياضي.....42

6-الفنون والعمارة.....42-43

7-المقاهي والحمامات العامة.....43-44

-**المطلب الثاني**: سلاطين القرن التاسع عشر واهم تنظيماتهم الثقافية.....46

أ-السلطان محمود الثاني 44-46

ب-السلطان عبد العزيز.....46-48

ج -السلطان عبد الحميد.....48-49

1-التعليم في الدولة العثمانية.....49

أ-المدارس العثمانية.....49-54

ب-المدارس اليهودية.....54-58

ج -مدارس الطوائف الاخرى.....58-59

2-الادب التركي.....59-60

3-الشعر التركي.....60-61

4 -الموسيقى والمسرح.....61-62

5-الصحافة.....62-63

-**المطلب الثالث**: الحياة الدينية في الدولة العثمانية.....63

1-الطرق الصوفية.....63

أ-المحافل والتكايا.....63-64

ب -مقامات الاولياء.....64-65

2-الاعياد والعطل الرسمية.....65-66

3_الاوقاف.....66-67

4-الحج.....67

المبحث الثاني:المبحث الثاني:الحياة الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي 68

المطلب الأول:حركة الاصلاح والتحديث في عهد مُحَمَّد علي باشا:.....69

1_البعثات العلمية 69-71

2_الترجمة.....72-73

3_الطباعة.....73-74

4_ حركة الاصلاح والتحديث على يد رفاعة الطهطاوي وغيره من المبعوثين:.....74-76

أ-مؤلفات رفاعة الطهطاوي وأثرها في حركة التنوير.....76-79

ب_ خلفاء رفاعة وتطور الثقافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي 79-82

المطلب الثاني:اصلاح التعليم في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي :.....82

1_المدارس الابتدائية.....83

2_المدارس الحربية والبحرية.....83-84

3_ المدارس العالية والخاصة.....84-86

4_التعليم في مصر خلال عهد الخديوي اسماعيل باشا.....86-87

5_الجمعيات.....87

6_الصحافة.....87-89

7_ المسرح.....89-92

المطلب الثالث :التحولات الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي:.....92

1_العمران:.....92

أ-القصور.....92-93

ب-المساجد.....93

ج- الشوارع.....93-94

2-الحمامات.....94-95

3-المناسبات الاجتماعية والدينية:..... 95

أ-الأعياد.....95-96

ب-الأفراح و الأعراس.....96-97

المبحث الثالث: ملامح التواصل الثقافي بين الدولة العثمانية ومصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي.....98

-المطلب الاول:التواصل الاجتماعي والثقافي.....99

1-المصاهرة.....99

2-المطبخ.....100

3- الموسيقى.....101-103

المطلب الثاني: التواصل اللغوي.....104

1-اللغة التركية العثمانية في مصر.....104-106

2-تدريس اللغة الفارسية في مصر.....106-108

3-حركة الترجمة.....108-111

4-التأثير المتبادل بين طباعة الاستانة ومطبعة بولاق.....111-113

5-الخط العثماني التركي في مصر.....113-114

الخاتمة 116

قائمة الملاحق 117-122

قائمة البيبلوغرافيا 123-129

فهرس الموضوعات 130-135